شاعرية يوسف عزالدين

خضر عبّاس الصّالحي

مكتبة المثنى ـــ بغداد

شاعرية يوسف عز الدين

خضر عباس الصالحي

مطبعة أسعد - بغداد
١٣٨٣هـ - ١٩٦٣م

الاهـــداء

الى صانعي التاريخ ، ومحرري الشعب العربي في العراق ، يوم الرابع عشر من رمضان المبارك من أغلال الحكم الفردي الجـائر ، وقوى الشر الفاسدة !

الى شهدائنا الخالدين الابرار ، الذين سقطوا صرعى برصاص الغدر والخيانة في مجازر الموصل الرهيبة ، ومذابح كركوك الدموية ، وام الطبول المروعة !

الى رواد الحركة التحررية في الوطن العربي الكبير ، الذين يغذون الانتفاضات الشعبية بدمائهم الزكية ، وافكارهم الخـيرة ، وطاقاتهم المبدعة ..!

الى رافعي مشاعل الثورة المقدسة في عمان البطلة ، ضـد المستعمرين ، مصاصي دماء الشعوب ، ومزهقي أرواح الابرياء ..!

الى العمال العرب البواسل في عدن المجاهدة ، الذين يقودون تظاهرات الجماهير الثائرة من أجل الحصول على الحياة الحرة الكريمة .

الى اللاجئين العرب الذين يتطلعون بحرارة ولهفة الى اليوم المنشود ، يوم العودة الى فلسطين السليبة ، وهم على أهبة الاستعداد لانقاذ وطنهم العزيز المغتصب من براثن شذاذ الآفاق بالمهج والارواح والتضحيات الجسام !

الى شعراء الطليعة العربية الواعية الذين ينشدون قصائدهم الثورية الملتهبة للركب العربي الصاعد المتحرر ، ويواكبون مسيرته الجبارة المظفرة ، لتحقيق القيم الرفيعة ، والاهداف النبيلة في الوحدة والحرية والاشتراكية .. !

الى جميع الناس الطيبين في كل انحاء العالم ، الناس الذين يدافعون عن حقوق العرب المشروعة ، ويشدون أزرهم ، ويعملون على دعم ثوراتهم الوطنية الرائعة ، في سبيل بلوغ أمانيهم القومية العادلة ، وحقهم الواضح الصريح في الاستقلال والسيادة والعيش الكريم ..!

الى كل هؤلاء أهدي هذا الكتاب المتواضع ...

المقدمة

الدكتور يوسف عزالدين من الطليعة الواعيـة في موكب الادب العربي الحديث • تمرس بشؤون الفكر والحياة ، وواصل السـعي الدائب في طلب المعرفة ونشدان الحكمة ، والاندفاع في كشف حقائق النفس البشرية • وواكب كل نشاطات الحياة ، ومجالات الواقع • وواكب التيارات الادبية المعاصرة • واحاط احاطـــة تامة بميادين الثقافة ، وبكل الاتجاهات والنزعات الفـكرية التي تسود عصره ، وكافح من أجل أن تاخذ الكلمة الشريفة مكانتها المرموقة في النفوس • ونذر العمر للحرف والمحبة وتاليف القلوب ، ومحو الاحقاد •والسعي وراء تحقيق الغايات السامية •••

لقد انبثق من أعماق الجماهير ، وكرس حياته وشعره لخدمة أهداف الشعب وتحقيق أمانيه القومية • فهو انموذج حي للتضـحية والاخلاص ، ومثل رائع للجهاد ونكران الذات • والتوكيد على ضرورة وقوف الشاعر الى جانب شعبه والتعبير عن قضاياه العامة ، والتجاوب ازاء ظرفه الراهنة •

انه في مقدمة شعراء العرب الذين نادوا بالآراء التقدمية كالوحدة والحرية والعدالة الاجتماعية ، والثورة على القديم البالي ، وتبني المثل والمبادىء والقيم الرفيعة التي لا يتبناها غير الانسان النبيل • الانسان العربي المخلص لعروبته ، الغيور على مصالح ومطامح شعبه ، فهـو يكتب له ، ويفكر من أجله ، ويعيش آلامه وآماله •

هذا الشاعر الحساس ، الطيب القلب ، الواسع الخيال ، المالك لموهبة الشعر • يعمل دوما على تغذية الجيل العربي الواعي بألوان الثقافة القومية ، وتسليحه بأسلحة الكفاح الثوري ، والاتصـــال

الوثيق بالشعب ، والسير في طريق النور والخير والصلاح ، ودنيا البطولات والمجد والخلود ، واقامة مجتمع عربي ينبض بكل الطاقات الخيرة ٠

انه انفعل بمحيطنا ، وترجم أحاسيسنا ، وسعى لتركيز معاني القيم والمثل والاهداف النبيلة في الاذهان ، لانشاء جيل صالح قوي بجسمه وخلقه وعقله ٠ والاندفاع بقوة واصرار نحو مستقبل أفضل٠ وتحقيق السعادة عن طريق خدمة الآخرين ٠ ونشر المفاهيم السامية ، ودعم الحق ، وتغذية الناس بالايمان والفكر والروح ٠ والتحليق بالنفوس الى عوالم تتألق بالمثل العليا ٠

ان الشعر يعيش في عروقه ، ويتغذى من دمه ، وشعره غني بالثروة الفنية الرائعة ٠ ويمثل نفسه الثائرة المتمردة أقوى تمثيل ٠ ونلمس فيه الطبيعة الانسانية في ثورتها وهدوئها ، في آلامها وأفراحها، في تحرقها وحنينها ٠

وشعره أنيق الديباجة ، بليغ العبارة ، ناصع البيان ، حافل بالاستعارات والتشبيهات والصور ٠ ويدل على مقدرة فنية ، وفكر ثاقب ، وسعة اطلاع ، يتسم بالجمال والحق والخير ٠ ويتصف بالجدة والطرافة والخيال ٠ ويتشوف الى كل جديد يساير موكب الحياة السائر نحو التطور ٠ ويهتم بالانسان ويحترم انسانيته ويدافع عنها ٠ ويهدف الى اغناء أدبنا العربي بالتعبير الصادق ، والتناغم في الشكل والمضمون ٠ والبحث بحماس عن طرق جديدة لخلق صور مشعة رائقة ٠ وتكثيف التجربة العميقة وعرض خلاصتها٠

لقد أنتج آثارا شعرية رائعة ، تمتاز بالصدق في التعبير ، والاخلاص في التصوير ، والنزاهة في الهدف وعبر عن أفكاره في اسلوب شعري جميل ، نتيجة مراس ونضج في التجارب الذاتية ، وحسن الانتقاء اللفظي المعبر عن الصور الفنية ، وامتلاك ناصية البيان ٠ وتنم اغراضه الشعرية عن نزعته الانسانية ، وروحه الخيرة ، وخلاصة تجاربه في الحياة ٠ والنظر الى قضايا عصره من خلال مشاعر الذاتية !

عصر وجدانه وأسال فكره في شعره الذي يدبجه في عفوية وطلاقة ، لتصوير المشاعر التي تكتنفه ، والافكار التي تراوده ،

ونلمس فيه غنى الالوان الشعرية • وصورا للجيل الحاضر ، لآلامه وقلقه • ووعيه المرحلة الراهنة التي تجتازها الامة العربية ••

لقد قدم لأدبنا العربي المعاصر مجهودا بعيد الاثر ، وانتاجا يكشف عن موهبة اصيلة في عرضه لافكاره ، وتطلعه الى ابداع صور جديدة ، ويمكن القول دون مغالاة ، ان وراء كلماته من المعاني الرفيعة عالما رحبا زاخرا بالاطلالة الشاملة الفاحصة للكشف عن حقائق الحياة ، وتخلى عن التعابير الملتوية المعقدة التي لا توصل الى غاية ، ولا تهدف الى معنى ، ولا تقود الى حقيقة • واعتمد الرموز والصور والرؤى الحالمة • فشعره يهز النفوس لما فيه من جمال الصور، وشفافية اللغة ، واصالة في التعبير • فيحس كل قارئ انه يعبر عن ذات نفسه •

قال الشعر في المرأة والطبيعة والحياة ، فكان الشاعر المتمرس في ضروب الفن ، ذا الخيال الرحيب ، والعاطفة الصادقة !• وقدم لنا باقات فواحة من الشعر وذات مستوى أدبي رفيع بما تحمل من شحنات فكرية وعاطفية •••

ومن هنا كان حرصي الشديد يدفعني الى الكتابة عن دواوين هذا الشاعر الذي يحمل رسالة الهدى والخير والفضيلة الى بني قومه العرب • وشاقني الاطلاع عليها ، والاقبال على قراءتها ، والاهتمام بها للكشف عن مواطن الجمال في روائعه الشعرية الملأى بالطرائف والمعبرة عن أفكار الشاعر وعواطفه ، والبعيدة عن التضليل والدجل والامتهان ، واحاول بشيء كثير من الصبر والاناة ، والتزام الروح الموضوعية • أن أستخلص ملامح ومزايا شعره • وابراز قيمه الفنية• وتثمين شاعريته الخصبة • وشخصيته الغنية بالمواهب • ولا أطلق الاحكام العفوية دون دليل أو شاهد •

ان الأدب العربي كسب كثيرا من ارتياد ميدان النقد الذي يتناول قضايانا الادبية والفكرية على أساس موضوعي • الذي هو المنطلق الرحب لبناء مستقبل أدبي أفضل •

لقد سعيت جهد ما أستطيع • أن أفي هذه الدواوين الثلاثة حقها من النقد والتحليل • واستقراء جوانب رائعة من شعرها •

وسرد الشواهد ، وضرب الأمثلة ، واعطاء التقييم السليم ، والمعالجة الواعية • مجاراة للتطور الادبي •

وفي هذه الدراسة جانب من الجوانب الادبية التي درستها هو الجانب الشعري وهنالك جوانب اخرى في النقد والتاريخ الادبي والتوجيه الفكري بما كتب من نثر وما نشر من كتب ومقالات أرجو أن يتاح لها دراسة لتنير جميع جوانب الشاعر •

واني ملزم بتسجيل حقيقة واضحة ، وهو اشتداد ساعد الحركة الادبية في العراق ، ومضاعفة الاهتمام بموضوع الدراسات بحيث لا يدع مجالا لك • بعد انفجار ثورة الرابع عشر من رمضان الجبارة التي دكت صروح العزلة الاقليمية ، وأعادت العراق الى ركب العروبة الصاعد ، وازالت الطاغية المجنون ، وقضت على ركائز حكمه الشعوبي الاسود ، الذي أشاع الحزن في كل قلب ، وسرق البسمة من كل شفة •••

انها ألهمتنا العزم الاكيد على استرداد الاجزاء العربية السليبة من وطننا الكبير الذي هب اليوم ليطرد الدخلاء الغاصبين من أرضه الطيبة بفضل تعاظم الحركة القومية التحررية المستعرة الأوار التي ستحقق الوحدة العربية الشاملة التي هي حلم الملايين !

انها فتحت أبواب الاستقرار والطمأنينة والخير للجميع • وفسحت المجال الواسع أمام المفكرين الاحرار للعمل بمثابرة وجد نحو نتاج أدبي رائع ، وتناول الآثار الادبية بالدرس والتحليل ، تلك الاثار التي لم تنل الاهتمام الذي هي حقيقة به • ونبذ المناهج التقليدية في الشعر ، والحرص على الانتاج الدائب لبناء قيم فنية جديدة ، بعد أن رفع الكابوس الذي شل الحركة الفكرية •

وغاية ما أتمناه هو انني أرجو قد وفقت في وضع هذه الدراسة الادبية عن نتاج شاعر خبر مسالك الادب وأبدع فيه ، وجال في ميادينه جولات موفقة ! والذي سيظل تراثه الفكري شاهدا على انه واحد من رواد الادب النابغين في كل البلاد الناطقة بالضاد ! والله من وراء القصد ••

بغداد ٦ـ٥ـ١٩٦٣م — خضر عباس الصالحي

في ضمير الزمن

- ١ -

في عام ١٩٤٦م دخل الاديب يوسف عزالدين كلية الاداب في جامعة الاسكندرية ليزيد في مكتسباته الثقافية ، ويتزود بالمعارف الواسعة ، وتخرج فيها عام ١٩٥٠م .. فكان خلال تلقيه العلم يعالج فن القريض وسيلة من وسائل التعبير عن تأملاته الروحية في الكون والحياة والمرأة !.. وقد أوتي حظا وافرا من حدة الذكاء ، وسرعة الانفعال ، وسلاسة التعبير ، وملكة التصوير ..! وكان ينشر شعره في جريدة الزمان القاهرية .

والاسكندرية ميناء مصر العربية الذي يطل على البحر الابيض المتوسط والثري بشواطئه الساحرة ، حيث يؤمه آلاف المصطافين من جميع أقطار الدنيا ، للاستمتاع بجمال (البحر) الرائع اذ يموج بأسراب الغيد الحسان من الشقراوات والسمراوات اللواتي يخطفن الابصار ، ويخلبن الافكار ، ويلهبن جذوة العواطف ، لما فيهن من فتنة طاغية ، وانوثة صارخة ، وسحر خلاب ...!

وتقوم ابنية « كلية الاداب » السامقة في « الشاطبي » القريب من

المتنزهات المطرزة بالاوراد الزاهية ، والمناظر الطبيعية الجميلة ، وكان الشاعر يسكن في حي « كليوباطرة » الذي كان هو الاخر مرتعا خصبا للانطلاق والغزل والهوى ، وينبوعا ثرا للشاعرية الفياضة ، وواحة خضراء لذوي القلوب الظامئة الى ينابيع الحب !

وتنقل في سكنه بين كامب سيزار والانفوشي ومحرم بك بين الحي الشعبي الطافح بجمال مصر الاصيل وبين الجمال الاوربي الذي تطريه الحضارة وتصقله المدنية .

وفي يوم شم النسيم تمتلىء « النزهة » بكلا الجنسين اذ تبدو الصبايا الفاتنات بشفاههن الوردية ، ونهودهن النافرة ، ولحاظهن الفاتكة ، وقدودهن المشوقة ، فيعملن على اثارة الشاعرية ، واذكاء الاحاسيس ، وتفجير الطاقات والمواهب الفنية المبدعة .. !

وكان الاديب يوسف عزالدين وهو في شرخ الشباب ، وريعان الصبا يرتاد هذه العوالم التي تتوهج بجمال الوجود ، وروعة الطبيعة ، فيعيش بقلبه وعاطفته ، كأنه في حلم لذيذ ، تدفعه الرغبه العارمة في ممارسة متع الحياة ، لينقع غلته ، ويروي ظمأه ، وكان الحب معين حياته ، ومنهل روحه ، ومهبط خيالاته ، فيذوب في محراب الاشواق كالشمعة المحترقة ، وتنصهر روحه العطشى في بودقة الغرام ، وهو محموم اللهفة ، مرهف الاحساس ، جياش العاطفة ، يحمل ملامح شاعر موهوب ، يستمد حيوية شعره من التجربة التي يعيشها ، وقد وجد في المرأة صورة الهية ابدعتها يد الخلاق العظيم ، فأحبها حبا ملك عليه نفسه ، وكانت بالنسبة له منبعاً سلسالا عذبا لشاعريته ، وارهافا عنيفا جامحا لعواطفه ، وعاملا من عوامل الخصب والدفء والحياة ، وباعثا صميميا على تفجير

مواهبه ، وصقل ملكاته ، ونقل خياله المجنح الى آفاق غنية بمفاتن الجمال الانثوي وسحره ، قال مخاطبا حبيبته من قصيدة عنوانها « من أنت » .

انت للقلب سناء انت نوره
انت للقلب شذاه وعبيره
يا لقلبي لست أدري ما مصيره

●

فتنة اقلقت روحي بجمالك
روعة حطمت قلبي بخصالك
يا لقلبي ولروحي من دلالك

●

سحرك الدائم دنيا للاماني
صرعتني في هواك المقلتان
يا لقلبي من تباريح الحسان

●

أربيع انت ؟ لا لست الربيع
انما حسنك لا يفني كحبي في الضلوع
وشذاه ان تولى لا يضوع

هذه المقارنة اللطيفة بينها وبين الربيع وهذه الترجيعات في المعاني لفتة ذهنية عالية .

●

وفي قصيدته (اللقاء الاول) يترجم لنا عن احاسيس صادقة ، ويعبر عن الاخلاص للتجربة العميقة ، وقد اطلق لخياله العنان ،

فراحت افكاره تسرح في آفاق الذكريات ، وكان موفقا في تصوير الاجواء ، اجواء اللقاء الاول في هدأة الليل ، والبـدر الطـروب يسكب انواره الفضية فوق صدر الظلام ، فيحيله الى خضم متماوج بالضياء المتوهج ، ولاح الليل نائما في سريره بين أحضان الفتنـة والجمال ، والانجم المضيئات تزهو اختيالا في عرض السماء ، وهتف الشاعر من أعماق قلبه ، مستعطفا حبيبته لتأخذه الى صدرها الحنون وتمر يديها برفق على رأسه المثقل بالهواجس السوداء فتشفيه مـن كل أسقامه المزمنة فيقول :

نشواني وقت اللقـاء سـتمضي
بابتسـام الرضا وضـحك الاماني
شـهقة الروض أو ربيـع شباب
أو كحلم الشـباب عنـد الغـواني

●

وازدهـى البدر في السماء طـروبا
يسـكب النور فـوق صدر الظلام
وتبـددت افـلاذه باسـمات
فرحـات يرقصـن في تهيـام

●

وبدا الليـل نائمـا في سـرير
بين أحضـان فتـنة وجمـال
فـذروه لا توقظـوه بهمس
فالجمـال النشـوان سـر الليالي

ذاك وقت اللقـــاء والموعـد الاو

ل يـا ما احيلـى لقـــاها

وهدوء الدجـــى يغني هـــوانا

أســكرت ليلنــا بحلو غنــاها

●

قـد كسوت الجمــال كل المغاني

فتهــادت بفتنـــة من جمـــالك

وائتــلاق النجوم يزهـو اختيــالا

مــذ منحتيـه فتنـــة مـن دلالك

●

كنت أرنو الى الليـــالي كئيـــا

فأراهـــا تفيض بالاجـــرام

فبـدت ظلمـــة الدياجي جـورا

مــذ تعطفت في لقـــا المستهام

والى صـدرك الحنون خـــذيني

حطمتنـــي معـــاول الايـــام

وأمســحي رأســي المشوق برفق

ســوف تشـفي يداك كل السقام

هذه الاضافات الرائعة (شهقة الروض) و (ربيع شـبـاب) و (ضحك الاماني) معان جديدة وصور نفسية قلما تتاح لشاعر فقد كان بدونها يرى الليل كئيبا والحياة حزينة فاذا اهلت عليه بحنانهـا ورضاها فقد اعادت الى قلبه الرضا والهدوء .

وفي قصيدته (فاتنة العيون) يصف سحر عيني حبيبته التـــي

سأله لم يمعن في عينيها وينظر اليهما ، فهما خمـرة تلهب الوجـد في احساسه ، وفتنـة تشعل النـار في أوصاله ، وهو شديد الظمـأ لهما . ويمنعـه الحيـاء الفطـري من أن يبوح بهذا الهوى الجـامح ، ولا يتجـرأ على التشـكي من ألمه المضني الحزين خشية ان تقتله بالنوى والقطيعة ، فيقضـي عمره رهن الاوجاع والوحدة والشجون ، وتفيض كأس حياته بالمرارة واللوعة والاسى ، وفي ألفاظ محبوكة رصينة ، وحشود من الصور المزدحمة بالمعاني يقول :

ان في عينيـك يا قاتلتـي
خمـرة تلهب في الاحساس وجـدا
كلمـا أمعنـت في سـحريهما
خفق القلـب جنونا وتردى

●

لا تلوميـه فقـد جرعتـه
غصص الآلام كأسـا أثـر كأس
أرسـليها فتنـة عاصـفة
أحـرقي روحـي واحـلامي وحسي

●

هـدئي روعـك يا فاتنتـي
وأرفقـي بالخـافق المضـطرم
ان في عينيـك سـحرا كامنـا
وسـرى سحرك في قلبـي الظمي

●



١٩٤٧ في جامعة الاسكندرية



في حفلة من حفلات الكلية والآنسة ميري فتوحي تصب الشاي للاستاذ صديق شيبوب والشاعر يتحدث الى استاذه الدكتور محمد حسين وقد ظهر الاستاذ محمد خلف‌الله عميد كلية الآداب آنذاك • وجنبه المرحوم العدوي •

أنا أخفيت جراحاتي ولم
اشك الالم المضني الحزين
خشية أن تقتليني بالنوى
فاقضي العمر ما بين الشجون

●

أنا ظمآن لعينيك فلا
تشتكي ان بحت بالوجد الدفين
لا تلومي كلما أمعنت في
فتنة الطلعة أو سحر العيون

●

ان في عينيك يا قاتلتي
فتنا تشعل في الاوصال نارا
لا تلوميه وقد أسقيته
أنت من عينيك وجدا وعقارا

●

ويبدو ان الشاعر اظهر ظمأه الحار المستعر لخمر عيني حبيبته ، فخيبت آماله ، وداست أزهار شعره التي نظمها عقودا لوجده وهي حنقة عليه .. وفي ثورة نفسية عارمة ، ألح عليها في أن تسعى الى تحطيمه . ولا تصغي لاناته وعتبه ، فحسبه التطلع الى ابتسامة رقيقة تلوح على شفتيها الرقيقتين ، فيقول :

أحالمة اللواحظ حطميني
فقد هدمت آمالي وقلبي

وكيف أعيش في الدنيـــا ســـعيدا
وبعـــت فتـــوتي وأضـــعت لبي
نظمـــت لك الزهـــور عقود وجد
وصـــغت لك اللحـــون رقيق حبي
فدست الزهـــر حانقـــه عليـــه
فنـــاح اللحن من جـــور المحب
ومن بعـــد ارتوائك من عـــذابي
فحســـبي بســـمة من فيـــك حسبي

وقد بلغ ذروة الاخلاص والوفاء فانه قدم لها كل غال ونفيس قدم لها الزهر النضير ووهبها شبابه وفتوته ولكنها داست ازهاره حانقة وارتوت من آلامـــه .

وما زال الشاعر يتغنى بالحب ، ويترنم بالجمال أينما رآه ، فأحب الطبيعة الضاحكة ، فملأت صدره شذى وعبيرا ، وأفعمت نفسه بشرا وحبورا ، وأثارت في قلبه كثيرا من المشاعر الدافقة ، وبعث في ذهنه مختلف الخواطر ، وهو العارف بمواطن الجمال ، فيضفي عليها من ذات نفســـه ..!

وفي قصيدته (عهد وعهد) شبه غضب الطبيعة وهدوءها بخلجات نفسه في قلقها واضطرابها ، وفي سعادتها وطمأنينتها ، فذكر زئـــير الرعود ، وعصف الرياح ، واصطخاب الامواج ، كصور شعرية حية تجسّد انفعال قلبه لما تخلت عنه حبيبته ومات رجاؤه .

وأما هبوب النسيم على جبين الغروب ، واطلالة البدر من نافذة السماء ، ولحون العنـــدليب على ذرى الافنـــان ، فما هـــي غير خطرة حبيبتـــه حين تهـــادى نشوى لعناقـــه في عالم زاخـــر

بالعواطف ، يضمه أفق واسع من الخيال المجنح حيث تتداعى في خاطره الذكريات متشحة برداء السحر والجمال فيقول :

أرأيت الرعود تزأر في الجو فتربد منها السماء
أم رأيت الرياح تجأر والكون عاصف نكباء
واصطخاب الامواج في ثورة البحر تثيره الانواء
ذاك قلبي لما تخلى السراب عنه وغاب منه الرجاء

●

أرأيت النسيم رهواً عليلا يتغنى على جبين الغروب
وأطل البدر الجميل طروبا فانتشى الكون بالخيال الحبيب
ولحون من عندليب شجي تطرب الكون من رقيق الطروب

●

هدأ الكون والسكون الجميل تغنى بأعذب الالحان
فعويل الرياح أمسى ابتساماً على ثغور الاماني
وهدوء البحر الجميل قد كان الهام شاعر فنان
ذاك عهد زها بحلو لقانا ففاح عطر المغاني

وهكذا ظل الشاعر يعيش مع الطبيعة يمحضها الحب ، فترفده شذى وطيبا ، وتغذيه هوى وانطلاقا ، ويستلهم منها صور الجمال ، تلك الصور النابضة بالحركة والحياة والازدهار ، ففي قصيدته (الوفاء) ينعم بجمال السكون في ظلال الفتون ، وقد صافح العطر رفيف الغصون ، وهو يقف على شاطئ النيل يرتقب بزوغ الشمس ، والنهر ينساب في أرض مصر العربية كأنه شيخ وقور غريب ، والشاعر يسير في دروب اطياف الربيع ، يستاف الانفاس العاطرة ، ويحدق

في المرج الجذلان بنظرات مدهوشة ، سابحا في أجواء الخيال المنطلق، تطوف في ذهنه صور شتى ، وتتجاوب فيه اصداء الحب ، فيقول :

لا تسألني عـن جمـال السكون
وعـن ربيـع الأمـل الحـالم
قـد انعشتني في ظـلال الفتـون
نفحـة طيب مـن شـذا هـائم
قـد صـافح العطر رفيف الغصـون
فاحتفلـت بالموسـم البـاسم

●

وهلل الشـاطيء في غبطـــة
يرتقب الشمس ارتقـاب الحبيب
وانسـاب مـاء النيل في روعـة
كأنه الشيـخ الوقور الغـريب
وافتـر ثغـر الشمس عن بسمة
حيت بهـا الازهـار فوق الكثيب
فاسـتيقظ العـالم من رقـدة
محمـلا أرزاء دنيـا الخطـوب

●

وسـرت استقصي دروب الربيـع
استاف مـن انفاسـه العاطـرة
والمـرج جذلان بوشـي بديـع
يختـال مثل الغادة الساحرة

ولاح لـــي زهر شـــذاه يضـــوع
بزفـــــرة طائشـــــة حـــائرة
أنصـــت حتـــى خلت ان الضـــلوع
احتـــرقت بالـــــزفرة الثـــائرة

انها قصة من قصص الوفاء التي يفي فيها الرجل وتخون فيه المرأة .. الرجل الذي يضحي في سبيلها بنفسه وبعواطفه ليراها سعيدة هانئة وهو يتعذب ويشقى .. انه ايثار منه واي ايثار ! ووفاء لا يعدله وفاء ..

وفي قصيدته (رنمي لي) شعلات ملتهبة من روحه الثائرة ، روحه التي تفيض بالشاعرية الحقة ، والمحترقة بشواظ الحب اللاهب ، ولوعة الذكرى ، وحرقة الحرمان ، وفيها تبدو عاطفة مضطرمة ، وقلب مثخن بجراح الالم ، لفرط حساسيته ، غنية بالصور الفنية الرائعة ، والاشراق الروحي المتسامي والقلق الوجداني العميق!

والشاعر عبثا يحاول ان يستدر عطف حبيبته لتشنف اذنيه بلذيذ النغم ، وأغاريد الهوى ، وجال في خاطره ان يستعيد الى ذهنه ذكريات لقائهما على ضفاف الجدول ، وقد بدا البدر ضاحك الطلعة، بسام الفم ، وهما يهمسان بانغام الحب .

أما اليوم فان نفسه الحائرة القلقة المعذبة طالما تشكو الجوى والوجد ، وتنشد الرفق بالقلب الظامىء المضنى ، ولكن شكواها تذهب ادراج الرياح ..!

ولقد بح صوت الشاعر وهو يشدو في كهوف الانفراد المؤلم ، فماتت اغانيه فوق أوتار قلبه المغرم ، وقطع يده بأسنان الندم ..

رنمي لي من لذيذ النغم
غنوة تجلو مرير الالم
رنمي لي من أغاريد الهوى
نغمة واحدة وابتسمي
قد سمت انفسنا في صورة
بعفيف الحب بين الانجم
اذكري الجدول والبدر بدا
ضاحك الطلعة بسام الفم
وبطرف غارق في حلم
يبعث النشوة في مجرى دمي
قد تحدثت حديثا عاطرا
عن سويعات الهنا المبتسم
أو ما تشجيك أنغام الهوى
يا (سرابي) قد كفاني المي
كلما جئتك اشكوك الجوى
كنت في عينيك كالمتهم
برح الوجد بقلب مدنف
فارفقي بالخافق المضطرم
وعديني موعدا ثم اخلفي
وارفقي في قلبي المضني الظمي
انا غريدك بحت غنوتي
كيف أشدو بانفراد مؤلم

أنـــا فيثـــارك ماتت غنـــوتي
فـــوق أوتـار فـــؤاد مغـــرم
مـــا لاوتـــار فـــؤادي عـــازف
غـــير عينيـــك ونجوى حلمـــي
يا (ســـرابي) أنا قطعـــت يـــدي
لا بنـــاني من عظيـــم النـــدم

●

هذه قصة جميلة من قصص الوجدان فقد سار معها مع جدول رقراق وليس في الاسكندرية سوى ترعة المحمودية الذى كـان ينساب بالقرب من كلية الاداب في دورها الاول فهل سارا يتحدثان والقمر يطل عليهما وما هو الحديث العاطر الذي يؤكده دائمـــا شاعرنا وعلام هذا الندم الذي قطع يده من أجله ؟!

انها اسئلة كثيرة •• طالما حام حولها الباحث ولم يجد سـؤالا وظني ان الشاعر حذف كثيرا من شـــعره متعمداً لانه الحريص الذي لايريد ان يذكر شيئا قريبا أو بعيدا من (سراب) الذي تتردد كثيرا في شعره •

وفي قصيدته (اقرئي الفنجان) حيرة ولهفة وحنين الى المجهول، تمثل ارتباك نفسه وتوزعها ، وتعبر عن روح هذا العصر بقلقـــه واضطرابه • فهو يهرع الى صديقته (مي) لتقرأ له في فنجان القهوة ما يخبيء له القدر ، فتطمئنه بان له مستقبلا زاهرا ، وذكرا عاطرا سيبقى اغرودة ساحرة في فم الدنيا ، ويشرح لها تعلقه بها ، وحبـه لها ، وهيامه بحسنها الخلاب ، ويفصح عن حيرته باسرار الحياة ، فكأنه تائه في وسط فلاة لا يرى درب الحقيقة ، فقد غللت عقله قيود

اللا أدرية ،فيقول :

اقرئي الفنجان يا (مي) اقرئيه فعسى ان تجدي حظي فيه
فشعوري لست أدري اليوم سره
غبطة القلب جرت في الليل عبره
من لذيذ الدمع عاف القلب خمره
ابفنجانك ما يفصح امره فاقرئي الفنجان يا (مي) اقرئيه
قلت : لي مستقبل كالزهر ناضر
وستبني مجدك الفذ مفاخر
وأرى ذكرك في الفنجان عاطر
في فم الدنيا أغاريد سواحر
فاذكري لهفة وجد واشرحيه واقرئي الفنجان يا (مي) اقرئيه
انا لا أدري لماذا قد عشقت
وتحيرت لماذا قد جهلت
افصحي لي لم في الوجد ذهلت
ولماذا انا في حسنك همت
لم دون الناس قلبي يصطفيه فاقرئي الفنجان يا (مي) اقرئيه
قد تحيرت باسرار الحياه
حيرة التائه في وسط فلاه
دونه الدرب ولكن لن يراه
غلل العقل فخانته قواه
وعلى درب الاماني ارشديه فاقرئي الفنجان يا (مي) اقرئيه

والملاحظ على هذه القصيدة صوفية وفلسفة ولعل دراسته الفلسفية الاولى وتقلبه بين فلسفة افلاطون وارسطو وديكرت

والدراسات الصوفية اثرت في شعره في هذه الفترة • والطريف ان قارئة الفنجان قد صدقت نبوئتها فقد بز شاعرنا أقرانا له في ميادين الادب وألف كتبا قيمـــة تلقي اضـــواء ســـاطعة عـلى جوانب النهضة الفكرية المعاصرة في بغداد •

ويظل الشاعر يسبح في خضم لجب من الآلام ، وقلبه محترق في أتون الحب ، ويعاني فترة صراع عنيف ، فهو حائر بين البوح والكتمان ، عما يكابده من لواعج وشوق ، فيخفي جراحه البليغة ، ويبيت متقلبا على أشواك السهر ، ولكن قلبه لايرعوي ، فيلج في وجده غير مكترث بما يقاسي من اسقام وبلية ، وتتفجـــر فيـــه المشـــاعر والاحاسيس ، ويعرب عن كل ما يجيش في نفسه ، ويعتلج في صدره للابانة عن صدق احساساته وعواطفه ، فيقول :

يبـــوح ام يكتـــم   صـــب بكم مغـــرم
ان بـــاح في وجـــده   فكلـــكم لـــوم
في قلبـــه لاعـــج   وبالهـــوى مفعـــم
أخفى جـــراحا له   هينهـــا مؤلـــم
اســـهرتم مدنفـــا   لكنـــكم نمتـــم
ما بال قلبـــي الذي   لا يرعـــوي عنـــكم
قـــد لج في وجده   وســـقمه منـــكم

وفي عمق اساه ، وزخم كآبته ، وفورة احزانه ، انســـابت العواطف والافكار دافقة في شاعريته الاصيلة ، وهو صادق في تجربته العميقة بعد ان شعر بفراغ هائل يملأ حياته ، فراغ يثير العاطفة ، ويحـــرك الاشجان فيقول :

ذوبت كـــل عواطفـــي انغامـــا
وتفجـــرت فتـــدفقت آلامـــا

هــذا شبابي الغض في ريعــانه
عصــفت به الدنيــا فــكان حطــاما
انــا ان نعمت بطيب يوم واحـــد
جــر الأسى والحزن لي اعــواما

ويثوب الشاعر الى رشده بعد هذه الرحلة الطويلة في عـالم المرأة ، ويناشد قلبه ان ينسى تباريح الهوى ، ويسلو الليالي الفاتنات، ويطوي الاماني الحالمات ، ويدعوه ان يبتسم ويضـحك للدنيــا ، فلاجدوى من الحزن والنوح والتحرق فقد تلاشت أطياف الحب وماتت آماله واصبحت الذكرى مجرد سراب خادع ، فليس حفظ العهود من طبع الكواعب ، انما ديدنهن الغدر والصدوالغرور وخلف المواعيد ،فيقول:

انس يا قلــب تبــاريح الهــوى
وســويعات مضــت لــم تعــد
ان ذكراهــا كنيران الجــوى
قــد تلظــت كلهيب الموقـــد

●

واســل يا قلــب الليالي الفاتنــات
في ظــلال الشــجر المبتســم
واطــو يا قلب الامــاني الحــالمات
والتنــاجي برفــيق النغــم

●

وابتسم يا قلبــي الــدامي فمــا
ينفــع الحزن ولا يجدي النــواح

قـــد مضـــى الحب وكانت حلمـــا
ســاعة اللقيا .. كآمال المـــلاح

●

فـــذر الذكـــرى فذكراهـــا سراب
واكتـــم الدمـــع ككتمان الشـــعور

ليس حفظ العهـــد من طبـع الكعاب
انمـــا غدر وصـــد وغـــرور

وبعد هذه الدراسة لديوان (في ضمير الزمن) يتضح لنا ان شعر الدكتور يوسف عزالدين ما هو الا تجسيد لافكاره واحاسيسه، وتصوير لذكرياته الجميلة ، وهو في مفتتح حياته الجامعية ، ينم عن حيرة الشاعر وقلقه ، ويشف عن جذور الحب المتأصلة في اعماق نفسه ، ويدل على خصب قريحته ، واتساق آفاقه الفكرية ، واصالة موهبته الشعرية ، وتحس ان قصائده صادرة من صميم قلبه ، مـــع تنويع صوره وقوافيه واجادته في اصطياد المعاني ، وسهولة لغته التي لا تكلف فيها ولا اعنات ، فهو ينتقي التعابير الرصينة ليعبر بها عـــن معاناته وتجاربه العميقة ، ويفصح عن طموحه الى خلق قيم فنيـــة جديدة ، والاسهام الفعلي في بناء الحركة الادبية الطالعة في العراق !

و (في ضمير الزمن) يسجل الشاعر مرحلة مهمة من حياته ، هي مرحلة الشباب التي تضج بالحيوية والتدفق والحماس والاندفاع العارم ، وتزخر بالتفاؤل والثقة والاعتداد بالنفس ، وتموج بالامـــل الباسم ، والاقبال على الحياة ، والتهافت على زخرف الدنيا ، والركض وراء المرأة ، والاحتراق بجحيم حبها .. !

لقد كان (في ضمير الزمن) رذاذا بالنسبة لانتاج الدكتوريوسف عزالدين في ميدان الشعر ، لم يلبث ان انهمر مطرا عزيرا على أرضنا الفكرية الجدباء حيث اصبحت اليوم حقولا خضراء ممرعة تفــوح بالشذا والطيب والعبير ، وتبوأ الشاعر مكانة مرموقة بين ادباء الجيل العربي المعاصر ..!

ألحـــان

- ٢ -

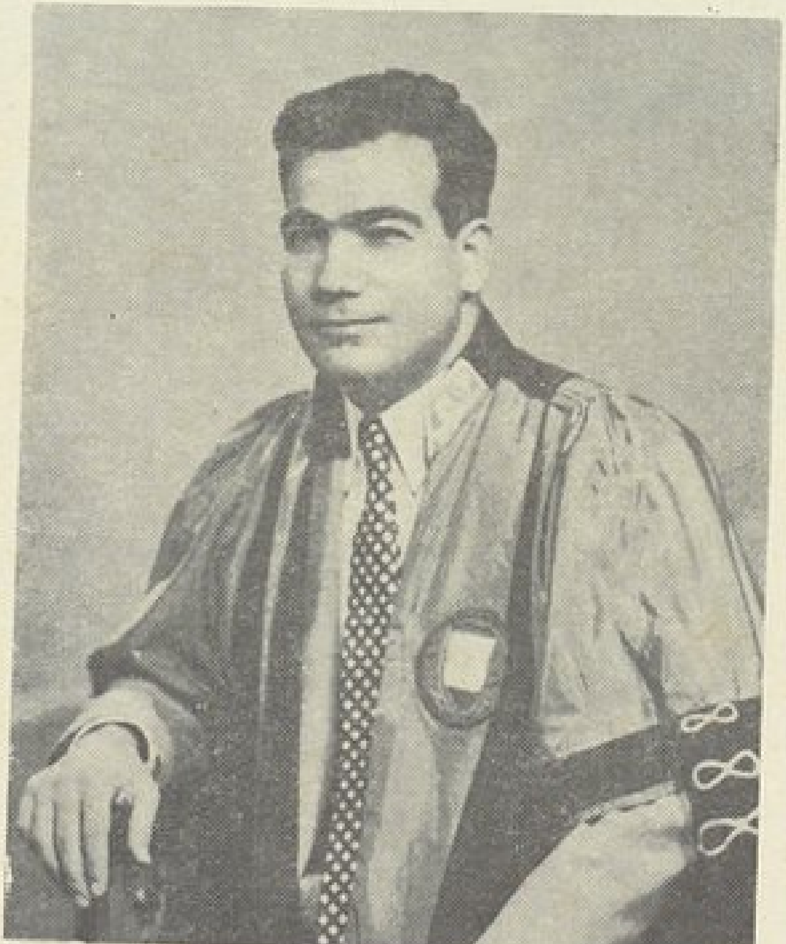
حينما اصدرت دار الطباعة الحديثة بالاسكندرية « الحان » سنة ١٩٥٣م وهو الديوان الثاني للشاعر منعت الحكومة العراقية البائدة دخوله الى بغداد لما فيه من آراء ثورية متجددة تدافع عن حرية الفكر ، وكرامة الانسان ، ولانه يضيء معالم الطريق الى دنيا جديدة تتوهج فيها أنوار الحق والخير والانسانية .

والدكتور يوسف عزالدين شاعر رقيق العاطفة ، عميق الفكر ، سامي الخيال ، ومن ذوي الالمام الشامل بالتراث الادبي العربي ، فقد رسخت اللغة العربية في صدره وحصل على سهم وافر بالادب فازداد فكره نضجا ، وافق مداركه اتساعا وصرف همته في قرض الشعر ، وتأليف الكتب التي أصبحت دليلا ناصعا على عمق ثقافته ، واتساع آفاق وحيه . وحياته حافلة بمختلف ألوان النشاط . وعلى جانب كبير من الوعي والتفهم والادراك . يعيش قضايا أمته في فترتها الثورية التقدمية الراهنة . وعمل جاهدا على ايقاظ الشعور القومي تهمه أحداث أمته وواقعها المرير . وآثر العيش في قلب الحياة ، وخوض غمارها . وكرس طاقاته الفكرية في مجال الفن الحق ، واستغل

شعره في سبيل خدمة الروح الوطنية الصادقة ، وهو من ذوي المشاعر الرهيفة الذين يعيشون في عالم وجداني زاخر بالعاطفة والخيال ، مع أباء نفس ، وصلابة عقيدة ، ورسوخ ايمان . يستشعر في أعماق ذاته الانصاف والمحبة والمروءة . ويتقمص روح شعبه وآلامه ، وينزع الى وصف احاسيس الانسان ، وتصوير آلامه . ويحزن لاحزان الناس المحيطين بهويفرح لفرحهم وقلبهمشرب بحبهم ويرسم بريشة الفنان المبدع ما يراه في الحياة من مآسٍ ومباهج ، يلتقط خواطره وانطباعاته وصوره من صميم الواقع . وعرف باصالة الشاعرية ، والصدق الفني في التصوير ، والبساطة في الاداء ، والوضوح في المعنى ، والحرص على موسيقى الكلمة ، ورنة التعبير وروعةالانتاج الادبي ،ورهافةالاحساس ،وعمق التأمل ،وصدق المشاعر وسمو الروح ، وانطلاق الخيال ، متجدد بافكاره واسلوبه الشعري . وينطلق من نفسه الانسانية النبيلة ينبوع يتفجر عطاءً وخيرا . ويحمل بين جنبيه قلبا كبيرا ينضح بالنور والخير والسخاء .

وقد اشتهر بجودة الشعر ، وحرارة العاطفة ورسم اللوحات الفنية التي تزخر بالحياة ، واللفتات الشاعرية الرفافة . والملامح الجديدة المعبرة عن مكنونات النفس ، والقيم الرفيعة التي يتغنى بتقديسها ، والافصاح عن روح العصر . والعوالم السامية .

في شعره موسيقى رائعة ، وتعبير بليغ ، تأسرك ألفاظه ، وتستهويك معانيه . نجد فيه الكثير من المعاني الجميلة ، وصدق الاحساس والشعور . وكل ما يجول في فكره من خواطر . وتضطرب به نفسه من مشاعر ، ويختلج في صدره من أحاسيس ، مع خفة أوزانه ، وبساطة تعبيره ، تتفتح له الارواح الحائرة وترف حوله



١٩٥٣ بالثوب الجامعي بعيد مناقشة الماجستير

القلوب الظامئة !

يسيل الشعر من قلمه رقراقا عذبا صادرا عن عاطفته الصادقة . واختلاجاته الدافقة بالحب ، وجراح قلبه المتألم ومعبرا بعمق عن تجاربه النفسية والحياتية . وخبراته الانسانية .

لقد ظل يغني للحياة والجمال والحب بحرارة وتفاؤل وأمل وهو في طراوة الشباب والعمر ، ويسير في خطوات ثابتة نحو التكامل والرسوخ . يضفي على شعره ألوانا من الرقة والعذوبة ، ويشحنه بحشد هائل من المعاني والصور والاحاسيس الانسانية .

وفي ديوانه « ألحان » الذي صاغه في قالب شعري بليغ بدأت عنده مرحلة جديدة من الانتاج الشعري . بوأته مكانة مرموقة في المحيط الادبي ، بعد ان بلا الحياة بما فيها من خير وشر ، وغدا شعره مرتبطا بالواقع والناس . ونتاج انفعالاته النفسية ، وتجاربه التي تنبع من قلبه كانسان يرتفع بنفسه عن الاحقاد والانانية والمراوغة . ويسعى الى تركيز قيم الحياة الجديدة في نفوس الجيل العربي المعاصر .

والشاعر في قصيدته (ربة الشعر) يتشوق دوما الى الانطلاق ، ويتوق الى الحرية وتفتح الذات ، وينشد الأمن ويلتمس الهدوء . ويحلق في أخيلته !

وتموج القصيدة بالبث والشوق والحب . والتعبير الغنائي الذي ينساب سلساً عذبا فينفذ الى القلب ، ويهدهد العواطف ، تحمل معاني الحب والوجد والامل ، وتنبض بحرارة الحياة ودفئها . وتزخر بالتعابير المجنحة ، والالوان البيانية . وتتساوق فيها الاضواء والظلال والرؤى ، مع جمال الفكرة ، ونضارة التعبير وحلاوته ، وعذوبة في الاسلوب ذي الديباجة المشرقة المؤثرة .

ولم تكن غير بث من عواطف ، وإفضاء من روح . وانفجارات عاطفية . وصور شعرية حافلة بهمسات الطبيعة ، مفعمة بطيوبها . وانغام ترشح بالصفاء ، وتترقرق بالعذوبة . وتعبر تعبيرا دقيقا عما في ذاته من أشواق الروح . وقوة الشاعرية ..

وفي سياق شعري رائع ، وانسياب عاطفي ثر ، وعبارات عذبة منغومة ، واحساس مرهف ، وروح ثائرة وخيال مشبوب . يقول :

ربة الشعر ، يا جمال الوجود
أنت قيثارتي ، وانت نشيدي
أطربيني بلحنك الناعم العذ
ب ، وجودي علي بالترديد
أنت وحي القريض ، يا ربة الشعر
ر ، ووحي القريض ، سر الخلود
وعليك الجمال ، أضفى برودا
من نسيج البقاء والتخليد
غردي ساعة ، فما الأنس الا
أن يلذ الحبيب بالتغريد
وارفعيني ، الى سماء الاغاني
حيث أشدو ، بكل لحن جديد
اسعديني ، يا ربة الشعر ، أما
تعبت عزمتي ، وكلت جهودي
فلكم بات ، في الحياة ، وحيداً
من تحدى الحياة ، غير وحيد

والشاعر يوسف عزالدين ذو شعور فياض بالوطنية ، الوطنية

الجادة العاملة التي تعمق مفاهيمها ، وتشرب روحها ، عبر عن أحاسيس الشعب ، وترجم بعمق حقيقة الاوضاع ، وحارب الظلم رغم الاخطار التي تهدده . وفتح العيون النائمة لترى ما يرتكب حولها من فظائع واهوال . لتصارع قوى الاستبداد الغاشم ، وتتحرر وتعيش حياتها كما يحلو لها ان تعيش ، وتسترجع حقها الهضيم ، وتنفض عنها غبار الخمول ، وتعمل لكي تسابق الزمن ، حتى لاتتخلى عن الحضارة الذي يغذ السير نحو الازدهار والتقدم .

وقصيدته (حرية الاوطان) التي يتجلى فيها ايمانه الصادق بحق وطنه في الاستقلال والسيادة والحرية ، وهو منذ ان كان شابا في مقتبل العمر ، كبير الامل في المستقبل ، عظيم الرجاء في الحياة . يقول الحق ، ويعمل به ، ويدعو اليه ، وفي عداء مستحكم مع المستعمرين الذين سعوا الى اغتصاب الاموال ، وانتهاك الحرمات ، وتركوا الشعب في فاقة وعوز ، يباع كما تباع الماشية ، فأنشد للطلائع الثورية التقدمية الزاحفة قصائده الوطنية الملتهبة ، وصب نيران غضبه العارم على المستعمر ! في شعره ونثره وفي كتابه (الشعر العراقي الحديث) دليل على هذا الاتجاه وهذا الاصرار فقد كان الكتاب أول اطروحة قدمت للدكتوراه في لندن ولما سمع به المسؤولون في العهد المباد نصحوه بتخفيف ما فيه من ثورة او تغيير الموضوع فأجابهم : هذا كتاب سيصدر باسمي اسجل فيه تاريخ شعبي ولن ازور فيه وعليّ تبعة ما فيه .. وفي المقدمة التي كتبت باللغة الانكليزية اشارة عابرة الى هذا الامر ..

وقد كتب قصيدته هذه بمداد الايمان والحق . وشعوره الفياض ، وعواطفه المستعرة ، ورسم لنا فيها صورا صادقة لمشاعره واحاسيسه . فقال :

دم الشهداء في ساح النضال
وبرق أسنة السمر العوالي
ورجعة أنة المكمود ، جرحاً
وزفرة كل ربات الجمل
وشوق المبعد النائي شريدا
عن الاوطان ، في طلب المعالي
ودمعة زوجة ولهى لبينٍ
تذكر طيب ايام الوصال
وحسرات الامومة في اِلتياع
صداها رن .. في كبد الليالي
تشاركها الليالي في بكاها
تصدع رهبة ، صم الجبال
ومصرع غادة كالبدر ، حسناً
تزف الى المنية في القتال
وصار لها الدم الزاكي خضاباً
من المجد المضمخ بالجلال
فدت حرية الاوطان فرحى
نفوس بالمنية لا تبالي

انها صورة محتشدة بكل آلام الشعب وبكل احاسيسه وانفعالاته فلو قدر لرسام ان يرسم صورة زيتية لما خرج عن هذه الصورة الشعرية الخالدة .

وفي قصيدته (أيها النيل) نجد التعبير الشعري في الاطار القومي ، وصدق النزعة القومية واضحا كل الوضوح ،

ولا غرابة فالشاعر يعيش مأساة أمته العربية الممزقة . ويتحسس الالم الذي يعانيه الانسان العربي . ويسهم في حركة النضال القومي من أجل التحرر والاستقلال . والخلاص من الاضطهاد والتعسف . والانطلاق من معاقل العبودية والأسر والظلم !..

وقد ظلت مصر العربية سنوات طويلة ترزح تحت كابوس الاستعمار الذي يمارس عملية الاعتداء الصارخ على حقوق الشعب ! واستهان بكل المفاهيم والاعتبارات الاجتماعية فانحطت العزائم ، وانهارات المعنويات ..! حتى قيض الله للشعب العربي في مصر السيد جمال عبدالناصر الذي اضرم لهيب الثورة الشعبية العارمة في الثالث والعشرين من شهر تموز سنة ١٩٥٢ ميلادية ، ضد النظام الملكي المتهريء ، واستبداد وعنت الاقطاع ، وقاد كفاح الجماهير الثائرة الصاخبة الى النصر . فكان البطل المقدام الذي تجسدت فيه ارادة الشعب والروح الثورية التقدمية البناءة . وبرهن في كثير من المواقف الوطنية المشرفة على صدق عزمه في كفاحه الحازم ضد المستعمرين ، ومكافحة الاستثمار والاستغلال والطغيان . وكفل سعادة الشعب . وحرر النفوس الاسيرة من قيود الارهاب الصدئة . وغمرتها اشراقة الحياة الجديدة . وكتب سجلاً حافلاً بالبطولات والتضحيات ، وشاد للقومية العربية صروحا ممردة ، بايمانه الراسخ ، وتصميمه الجبار ، وضرب خير مثل للرجولة الكاملة ، والعزيمة الشامخة ، وفي غمرة طاغية من الكفاح الرائع سطعت أنوار فجر جديد ، فجر الجمهورية العربية المتحدة التي باتت ملتقى أحرار العروبة ومفكريها المناضلين ، ومهوى الافئدة ، ومطمح النفوس . وهي ثمرة كفاح مجيد عبر سنوات طويلة من الجهاد الشعبي المقدس !

والقصيدة تومض بانبل المشاعر . وحوافز النهوض . وتصوير صادق للاوضاع والحقيقة ، وتجسيد لواقع معاش . تثير فينا احاسيس شتى ، وعواطف سامية .. مع متانة التركيب ، وصفاء الـديباجة ، وقوة العقيدة ، وعمق الايمان . وقد صدقت نبوءة الشاعر اذ خرج الانكليز من مصر وضحك الصعيد كما ضحك الوجه البحري طربا بهذا الجلاء ، فيقول :

يا نيل يكفيك الخضوع
وهجعة الذل المريع
زمجر فما يجدي الركوع
أمام اقدام الصنم
حطم بثورتك القيود
وسر بركب السائرين
سخرت بذلتك العبيد
وبك استهان الماكرون
او ما تفيـــق
يا نيلنا الحر الأبي
ومتـى تثور
وتذيب قيـد الاجنبي
انصب مشانقك الرهيبة ، لاجثاث الخائنين
فهم الثعالب ، في حماك
تمتص ، في نهم دماك
فاحصد رؤوسهم .. حصاد
أياك أن تخشاهم أو أن تلين

وانثر دم المستعمرين على الحديد
واترك معسكرهم .. لعصف السافيات
واسق القنال
منهم واشداق التلال
واقذف باشلاء الجنود
عبر الحدود
كيلا تدنس منهمو أرض البلاد
في ساحة الميدان .. لا تخش الكلال
ما ساعة العلياء الا ، ساعة بين النضال
فتضج منك دماهم يوم القتال
وتسيل
تلقفها السهول
في ذلك (التل الكبير)
تجري كما تجري السيول
في (فايد) ، مهد اللصوص الجائعين
جاءوا برابرة ، غزاة ، ناهبين
جرعهم .. الموت المبيد
واجأر فشعبك كالاسود
من كل جبار مريد
يقتص في رهج الحروب
من الطغاة الظالمين
وغدا سيبسم للوجوه الشاحبات
وجه الزمان
ويهلل العهد الجديد

مردداً طيب الامان

وترى الوجوه المشرقات

في اسكندرية ضاحكاً

حتى الصعيد

وجه الحيـــاة

وظل الشاعر يعيش الاحداث الهامة التي تعانيها أمته العربية ، ويدعو الى التحرر الوطني الكامل . واطلاق ارادة الشعب ، ويشارك في الافكار الشعبية . ويصور احساس الشعب حيال الطغاة الذين اضطهدوه شر اضطهاد . ويواكب الانتفاضات الوطنية المتدفقة في كل جزء من اجزاء الوطن العربي الكبير ، ويصور لنا الاحداث بغاية الدقـــة والبراعة . وطالب بجلاء الدخلاء الغاصبين عن كل شبر من أرضنـا العربية الطيبة . واستفز عزائم الشباب ، للعمل المجدي ، وسـل الحراب في وجه الذين يقفون حائلاً ضد مصلحته . فالكفاح جمال الوجود . ولا يؤخذ المجد الا بتحطيم السلاسل والقيود . فلنـدع النواح والهيام والغزل ، اذ لا تطيب الحياة الا بالقضاء على المستعمرين الذين استباحوا حرمتنا . وعمقوا جراحات شعبنا العربي الممتـدة عبر الاجيال ..

كل هذه الافكار النيرة تقرأها في قصيدة (الجـلاء) التـي تصطرع فيها قوى الحق والخير ضد عصابات العدوان والشر . مع عمق اصالة ومعانات ملتهبة ، وجمال اسلوب ، ورصـانة تركيب ، وصدق شعور ، وبراعة تصوير ، فيقول :

ربيـع الشـباب   ربيـع العمـــل

فسلوا الحــراب   وخلوا الغـزل

ربيع الكفاح ربيع الأمل
بحمل السلاح بطيب العمل

●

حياة الكفاح جمال الوجود
ومجد يتاح بكسر القيود

●

وشدو الطيور جميل النغم
وعطر الزهور لمن قد حكم

●

فخلوا النواح ونأي الخليل
فهذي البطاح غزاها الدخيل

●

فوجه الرجاء حزين السمات
فبعد الجلاء تطيب الحياة

وفي الخضم الزاخر بالاحداث بقي على ارتباطه العميق بوجوده العربي ، يعيش مأساة جيله . والايمان يغمر روحه الوثابة المتطلعة الى المستقبل الزاهر ، الايمان المطلق الكامل الذي نما وتصلب عبر الكفاح الدامي . وصار أكثر فهما ووعياً لواقع العالم العربي .

والف واخوان له جمعية قومية غايتها بث الفكرة القومية والروح العربية في الاسكندرية ثم ترأس الجمعية وجعل شعارها الوطن العربي من المحيط الى الخليج ، كما ألقى عدة محاضرات أدبية في نادي الكتاب وكلية الاداب تنهج هذا النهج العربي الاصيل .

وقصيدته (مراكش) نتاج عاطفة وطنية صادقة ، يصور فيها

ما آلت اليه الامة العربية من تمزق الشمل ، وتبدد القوى . واستحواذ الانكسار والهوان والذل على النفوس . وتعسف الحكام الظالمين . وضياع الحقوق التي أهدرتها قوى الطغيان ! وهو يهيب بالجماهير العربية ان تستيقظ من سباتها العميق . لقطع دابر الاستعمار كلما سولت له نفسه الشريرة بشن العدوان على بلاده العربية ! ويرسم لها طريق الغد المشرق .

والقصيدة تعطي دليلا ساطعا على بصيرة الشاعر النيرة ، ووجدانه المتوهج . وصدق شعوره ، وبراعة تصويره . واجادته التعبير عن أحاسيس الشعب العربي . وهو ما يمليه عليه الواجب المقدس فيقول :

ضحك المجد ساخرا .. مذ تهادت
أمنيات الطغاة بين الديار

مزّق الدهر شملنا وابتدرنا
بمصاب ، يبكي كريم النجار

كيف تغدو أوطاننا نهب باغٍ
يلغ - اليوم - في دم الاحرار

ضج سوط البغي خزيان منا
مذ سقيناه ... ذلة الانكسار

حز فينا الجزار خنجره المـ
ـنون ويل لخنجر الجزار

يا دماء تصيح من رعدة الذل
تلاشى صدى .. مع التيار

ايه مراكش الحبيبة ضاعت
لك أخت ، مجيدة الآثار
كيف ننسى الكفاح من أجل مجد
كيف نرضى بذلة استعمار

ان مناظر الطبيعة من أجمل الاشياء التي ينبغي على الانسان ان ينعم النظر فيها . والشاعر الدكتور يوسف عزالدين ، درج وشب في أحضان الطبيعة ، فأحبها وتعلق بأهدابها وارتبط بها ارتباطا وثيقا لاينفصم ، ووجد لها صدى في ذات نفسه ، فزادت شخصيته غنى ، ومواهبه تفتحاً ، وراح يعب جمالاتها ، ويستلهم ألوانها ، ويستوحي منها صوراً فاتنة ، فهي مصدر مهم من مصادر الوحي والالهام . وتفجير ينابيع المشاعر ، واثارة عواطف الوجدان !

انه كان على صلة مباشرة بالطبيعة ، فيجد فيها متعة روحية لانظير لها . ما تملأ العقل معرفة ، والنفس رضا ، فتعمقت نظراته لما يحيط به من أسرار الكون والطبيعة ..!

لقد استشرف الصور الرائعة من الطبيعة التي اضفت على شعره كثيرا من الشفافية والظلال ، وامتزاج الالوان والاصباغ الطبيعيه ولا عجب فقد درج في بعقوبة التي يكتنف الجمال ضواحيهاومغانيها.

والشاعر في قصيدته (هي) يفصح عما علقت بذاكرته من صور جميلة عن الفترة التي أمضاها مع حبيبته في مناجاة الطبيعة واندماجه ذاتيا معها .

وفيها تبرز براعته في اصطفاء الالفاظ والمعاني والصور ، وتمتاز ببساطة الفكرة ، وعذوبة التعبير وصدقه وهي ترجمان صادق للعواطف ، وانفعالات الوجدان . وتصوير نزعات النفس وتجسيد

التحرق الروحي ، والعطش النفسي • فيقول :

هل تعلمين ؟!••
أم تجهلين   من تلك ملهمتي الحنون ؟!
هي ••• غنوة اللحن الشرود ولهفة الوجد الحزين
هي ان جهلت محلها •• في القلب •• ما بين الجفون
هي كالنسيم العذب تعشقه قلوب الظامئين
هي جدول من فتنة
ينساب من ثغر الفتون
هي نشوة الحسن الوديع
يسيل رقتها الحنين

◉

هي عطر أيام الربيع   شذى السهول روا الحزون
هي ناي أحلامي التي أشدو بها سحر اللحون
اغرودة الفجر الجميل   بثغر مشبوب الشجون
هل تنكرين ؟!•••
ام تعلمين ؟   من تلك فاتنتي الحنون

ان أهم ظاهرة نجدها في دواوين الشاعر الدكتور يوسف عزالدين هي ظاهرة الغزل الذي يحتل مكانا اساسيا مهما في شعره • وله في الغزل مقطوعات شعرية بلغت منتهى الروعة • لان الغزل ملهم الآيات الخوالد •

ان الحب بلسم يشفي الجراح ، ويشحذ الوجدان ، ويلهب الحس ، ويمس العاطفة •

والشاعر منذ كان في رونق الشباب ، وميعة الصبا ، مكلف

بالجمال ينشده في وجوه الغيد الملاح ، نفسه جائعــة الى الحب ، عطشى الى نيرانه الملتهبة ، ولم يلبث ان اكتوى بنـــار الحب وذاق مرارته ، وجعل منه شاعرا مجيدا يصدح بالحب ، بالامل ، بالحياة ، يرسل آهاته وصلواته في معبد الجمال ..!

ان الحب فجّر ينابيع مواهبه الشعرية ، وعمّق نظرته النافذة للحياة . وزاده غنى واصالة ، واخصب محتوى شعره ، وجعل منه شاعر الحب في أروع صوره ، فانتج نماذج حقيقية حية تنبض بأسمى ألوان الشعر الغزلي .. ما عرفنا له مثيلا في أدبنا المعاصر ..

لقد عزف أناشيد مضمخة بعطر الحب ، وجاء شعره زاخـرا بالبراءة والصفاء والطيبة . والتأثر بكل مباهج الحياة وجمـالاتها . والتأمل بأسرار الكون ومناجاة الطبيعة .

والشاعر في قصيدته (سكرة الشفاه) يصف لنا المرأة التـي ملأت آفاق حياته ، وملكت حواسه ورقّقت مشاعره ، واوحت لـه بالنغم الخلاب ، فشعرها كسبائك الذهب ، يرف على كتفيهـا رفيف الاقحون الندي ، وصدرها المرمري كالشذى المسكر ، وثغرها المزهر كالوردة الحمراء النابتة على شفاه الربيع ..

ان هذه الغادة الحسناء قد استثارت خياله ، واستفزت وجدانه فاندفع خلف تيارات الحب الجارف . وسبحت روحـه في الآفاق البعيدة ، وتدفقت العواطف حية في عبـاراته . وتفتحت له ابواب الامل ، اذ وجد فيها ضالته المنشودة فقال :

سبائك العسـجد
كالاقحـوان الندي
رف على كتفهـا

فيا عيون اسعدي
بثـــوبك الاحمر
لهفة وجدٍ طـري
وصـدرك المرمري
حقاً شذى مسـكر
وثغـرك المزهــر
لهفـة وصل شهي
فيا شـفاه اسكري

وفي قصيدته « العينان المسحورتان » يلتمس من حبيبته الرفق بقلبه الذي بات كحطام المنى ، ونسي الحب وآلامه ..

ولكن عينيها المسحورتين قد هدهدتا آماله التي ذوت ..

انه يحس بالنار تلهب احشاءه ، والهم يكتنف قلبـه من عذاب الذكريات ، ويشعر ان في روحه ظمأ الى الحب . الظمأ المحمـوم الذي يلوب في قلبه . فيحلق في عالمٍ من الاحلام ويرسم لنا صورا نابضة بأحاسيسه النفسية ، صورا شعرية موحية . صورا مؤطـرة بخيال بديع . وقلبه يموج بفيض من الاشواق .

وهذه الحسرات التي كانت تصطرع في نفسه ، سكبها انشودة متماوجة حافلة بالروح والمعنى والصور والاخيلة . زاخرة بالكلمات المشحونة بالزخم والتوتر والجرس ، فقال :

رفقـــاً بنا يا (ليل) .. رفقاً بنـــا
ما قلبنـــا غـــير حطـــام المنـــى
رفقـــاً بنا فالقلب في لوعـــة
مجـروحـــة يكبهنـــا أزمنـــا

قـد نسي الحـب وآلامـه

مـن أين اقبلت فكنت المنـى ؟!

هدهـدت آمالا ذوت وانطـوت

فكنـت للنفس لـذيذ السـنا

عناك يا (ليـلاي) مسـحورة

فليحفظ الله لنـا الاعينـا

وفي قصيدته (القبلة الثائرة) يلتقي بحبيبته فيحدثنا عن القبلة ويسألها لمن أرسلت قبلتها عندما جلست في سيارتها ساعة الوداع والورد يرف على وجنتيها .. وهما في ساعة الوداع . وقـد جف منه الخيال الجميل ..

وراح الشاعر يساءلها ان تدعه لوحده يقضي خريف الحياة ، ويجرع كؤوس الآلام ، فحسنها قد احيا فيه موات الشجون ، وألهمه الفكرة الشاردة . واثار آماله الغاربة ، وقد غدت تراتيل شعره نشيد الفتون ، واحاسيس قلبه ملأى بالحنان . وحبه لها دمدمة في الضمير .

وطفق يرجوها ان تريح فؤاده الذي دهته الهموم ، وترد عليه طيب الأمان ..

وهكذا انطلقت أشعة ابداعه تتوهج في سماوات الخيال الرحيب، وتحمله الى اجواء سحرية ، فتنثال عواطفه انثيالا ، وتتفاعل مؤثرات الجمال في نفسه ، فيغني غناءً شجياً معطراً بشذى الحب ، دافقـا بطوفان من الأحاسيس العاطفية الصادقة ، وهو في غمرة من الانفعال الذاتي ، والزخم العاطفي ، فقد غمرته بعاطفة لا يمكن ان ينساها واحب في سبيلها الحياة بكل ما فيها من حلاوة ومرارة ، وسـكب من أجلها عصارة نفسه في شعره الذي هو مـرآة تعكس عليهـا انفعالاته النفسية . فيقول :

لمن كانت القبلة الثائرة ؟
أثرت بها لهفة حائره
وهذا الذهول على ناظريك
يتيه ، من النشوة الساحره
رفيف الورود على وجنتيك
ترف ، بمعطارة ناضره
أثار الحياء عليها العبير
بأنسامه الحلوة العاطره
وصوتك بح ، غداة الوداع
وعينك حيرى ، لمن ناظره ؟

●

لقد جفَّ مني الخيال الجميل
وعدت الى سيرتي الجامده
لماذا اتيت الى قفرتي
وما انت من قفرتي حاصده
ذريني ، اقض خريف الحياة
واجرع آلامه الخالده
فحسبك احيا موات الشجون
وألهمني الفكرة الشاردة
رياض الربيع ، وعطر الرجاء
وانسامه الحلوة الباردة

●

بربك رفقاً بهذا الفؤاد
تثيرين آماله الغاربة

تراتيل شعري نشيد الفتون
وكانت تراجيعه شاحبه
احاسيس قلبي ملاها الحنان
بأنغامك العذبة الخالبه
احبك دمدمة في الضمير
تردد في الظلمة الصاخبه
تردين للقلب طيب الاما
ن كتسبيحة الطفلة الراهبة

●

اريحي فؤداً دهته الهموم
وامسى بهذا الهوى سادرا
وردي على القلب طيب الامان
فيزهو جميل المنى ناضرا
رجوتك هل تقبلين الرجاء
اجيبي فؤاداً غدا حائرا
لمن كانت القبلة الثائره
فقلبي لها قد غدا ثائرا

كان وسيظل الشعر تعبيرا عن التجارب التي مر بها الشاعر وعاشها ، وانفعل بها ، وانعكاس لتأثير الواقع العميق في نفسه .

ويوسف عزالدين الشاعر المترنم بالحب ، المتغزل بالغيد الحسان ، لقد لمس وتراً حياً من قلبه الذي تاه في دنيا الخيال ، وحلق في أجواء السحر والجمال ، وانطلق على سجيته في مناجاة للطبيعة ، وامتزاج بجمالاتها .

وفي قصيدته (وفاء واخلاص) يحترق قلبه بنار الشوق ، قلبه المملوء بالألم الممض ، قلبه الذي أبدى لحبيبته « احسان » الود والوفاء وأفضى اليها بعض خواطره ، وكان كلفا بها ، ولكنها قابلت حبه لها بسهام الجفاء ، فتغرق عالمه في ظلام موحش ، ولم تعد الحياة جميلة في نظره ، تهصره يد الألم . وتتفجر فيه شتى الاحاسيس الشعورية ، لما يساوره من شك ، ويرهقه من عذاب .. !

وعاوده الحرمان والتشوف والقلق ، وأطلق العنان لجموح عواطفه ، ووجد في الشعر ما نفس عن انفعالاته ، فنظم هذه القصيدة الغنية بالمعنى والرمز والايحاء ، والثرية بالالفاظ والتعابير والصور ، والمعبرة عن أحاسيسه وعواطفه ، والتي تفيض ولهاً وشوقاً ، وتتفجر رقة وعذوبة وتنبيء عن صدق في معاناة التجربة الشعورية وتمثيلها وتدور حول عواطف الشاعر الذاتية فيقول :

احسان انك قد حكمت فأعدلي
وصلي بعطفك عاشقاً منكودا
قد عاش في ظل الغرام بغبطة
قلبي فأمسى في الغرام سعيدا
لا تعذليه أنت ملء فؤاده
وبنار حبك لازم التسهيدا
هذي فتاة ، في الجمال كأنها
ظبي ، تورد خدها توريدا
جاءت تسائلني الوصال أجبتها
احسان تمتلك الفؤاد مديدا
لم يبق في قلبي فراغ للهوى
أبداً واني لا أريد مزيدا

هذا جزائي قــد حفظت لك الوفــا
وحفظت في قلبي لك التوحيــــدا
تتثــاقلين بغــير ذنب جنيتــــه
والقلب يشــهد ان طلبت شــهودا
واذا قطعت الــود فيما بيننــا
أغدو كئيباً في الحيــاة وحيــدا
لا قــدرة للنفس في استئصــاله
واذا طلبت فقــد أردت بعيــدا

وفي قصيدته (ظلال الآمال) يبرع في تصوير الخلجات النفسية، والصبوات العاطفية ، حيث يلفه جو قاتم من الكآبة والحيرة والضجر ، ويستحوذ عليه التمزق النفسي الحاد ، والازمات الروحية الطاغية ، والشوق المحموم الدافق ، ويدور في دوامة من الحيرة القاتلة ، ويلم به طائف من قلق غامر • ولم يبق فيه غير لهاث نفسه الحزينة ، ومات معزفه يأساً ، فقد أذوى الانين الجريح ألحانه ، وباتت أمنيــاته الحرى رماداً تدب فيها السكينة ، وضرام حبه أمسى نجوات تلعق ألمه الصامت الذي يلتهب في تراجيع خافقه المكلوم • فيستنجد بحبيبته أن لا تعيد عليه طيب الأماني ، وتثير لواعجه المسكينة •••

والقصــيدة تصطخب بالاثارة العاطفية التي تهــز المشاعر ، والتجارب الوجدانية الصادقة ، وتعبر عما يختلج في صدر الشاعر من الحزن والألم •• وقد سبغ عليها وشاحاً فنياً من ذاتيته الزاخر بالشعور الدفاق المنطلق •

ولما كانت ملكة التعبير هي من مميزات الشاعر الناجح فالقصيدة ذات حظ وافر من الجمال الفني لما فيها من امكانيات التعبير ، انسربت انشودة رائعة من شفتيه ، رقيقة اللفظ ، عذبة الموسيقى ، موحــدة

الموضوع ، اسابت في صياغة تتصف بالسلاسة والسهولة . فقال :

يا نشاوى الاحلام ما تنبشينه
غصةً ، من لهاث نفسٍ حزينه
كفكفي اللحن ، معزفي مات يأساً
والأنين الجريح أذوى لحونه
لا تعيدي علي طيب الأماني
وتثيري لواعجاً مستكينه
في ظلال الآمال ، امنيتي الحرى
رماد ، تدب فيه السكينه
وضرام الحب المبرح أمسى
نجوات ، يروع يأسي شجونه
ونجاواي ، تلعق الألم الصامت
من تراجيع خافق تجهلينه
يا ظلال الاحلام ، في الافق الهائم
لا تعيدي للعاطفي جنونه !

انه النغم الهادىء ، انها العاطفة الثرة المسماحة ، تتسرب الى القلب الرقيق الحساس من رشحة الحب ، ودفقة الهوى في يسر ودون استئذان .

وفي قصيدته (تذكار الهوى) يروي لنا الشاعر قصة غرامه ويحدثنا عن لقائه الأول بحبيبته ، فقد صادف أن مرّ من تحت احدى الشرفات وقد أطلت منها ثلاث غيد ملاح ، والبدر في كبد السماء يتألق بأضوائه الساطعة فيحيل الليل نهاراً ، وهن يقفن بين أشجار الكينين واتخذن من الأزهار ستراً .. وقد لفتت أنظاره ذات الرداء الاسود التي رجت من اختيها أن ترميا الشاعر بحجر وكأنها

تطلب منه ثأراً .. وطفق العاشق المسكين يسائلهن عن أوزاره التي جنتها يداه حتى استحق هذا العقاب الصارم ، فتضاحكن وأجبنه .. ليكن لنا ضرب الحصى تذكارا ... فعلم ان الفتاة التي ترتدي الثوب الاسود هي معشوقته الفاتنة فقد أظهرت هواها به بعد أن كان سراً من الاسرار !

انه الانسان المتعطش الى الحب والشوق والهيام ، البارع في رسم الصور والرؤى الجميلة ، والصادق في انفعاليته ، والمجود في ادائه ، والمخلص في تجاربه الشعورية ، والذي يصوغ ترنيماته برشاقة آسرة ، فيسكر الروح ، ويطرب النفس ، فيقول :

وثلاث غيد كالبدور رمينني
ـ والبدر يشهد مذ مررت ـ حجارا
قد جئن للشرفات يرمين الحصى
عمداً ، ومن قصر الحبيب جهارا
والبدر قد ملأ السماء بنوره
فكأنما كان الظلام نهارا
ما بين أشجار (الكينين) بسرعة
ستراً تخذن الورد والأزهارا
من بعد أن يرمين يسرعن الخطى
هرباً فيتركن القلوب حيارى
ولئن عجبت فكان عجبي للتي
لبست سوداً وانتشت تبارى
قالت : لاختيها اللتين بقربها ـ
هيا اضربا ـ ذاك المحب ـ جحارا

وبكفهـــا تحوي أشـــارت بغتـــة

فكأنهـــا ـ في الحب ـ تطلب ثارا

فأجبتهـــا مسكين اني مغـــرم

لم أجن ـ في هذي الـــدنا ـ أوزارا

فاذا بهـــن يقلن ، بعـــد تضـــاحك

ليكن لنا ضـــرب الحصـــى تذكارا

وبذاك قد علم الفـــؤاد غرامهـــا

من بعد أن كان الهـــوى أســـرارا

وهو يتذوق الجمال ، ويعشق الطبيعة ، حيث تنتقل روحـــه حرة طليقة تجوب الوديان والسفوح ، وترتاد الشواطىء والحقول ، لتستمتع بجمال الربيع ، ورقـــة النسيم ، وتغريد الطيور ، وهمس العبير ، وسراب الاحلام ، وصفو الظلال ، فيستلهم من ينابيع الحب أناشيد رائقة مفعمة بأشواقٍ حارة لافحة ، وصور جميلة مشرقة ، يتحسس قارئها بالتفتح والانتعاش والبهجة ، وتسري في نفسه ومضة من الارتياح والغبطة والدعة •

وقصيدته (ذكريات) فيها انسياب وسلاسة وتلقائية ، وعواطف رهيفة ، وموسيقى رخيمة ، وعبارة محكمة ، وصورة بليغة ، ولفظ مختار ، فهي نبضة قلب ، وخفقة وجدان حيث يقول :

ذكريات الغـــدير عند المســـاء

ضحكت فرحـــة باذن الهنـــاء

وتخطت •• تعـــدو على الاحقـــاب

لعزاء الغـــدير ، في الأحبـــاب

ورواها محـــدثي الـــدهر •• قولا

فوق خــد الحديث تذرف هولا

+ ● +

اوما يعلم الغـــدير بحـــالي

ضقت ذرعاً بساخـــرات المـــآل

وعـــلى نجمة الحديث ضـــحكنا

وارتعـــاش الاشـــراق ، نم علينـــا

قلت : والوجد في ذرى الاحقـــاب

قهقهات تـــدى من الأوصـــاب

+ ● +

تلك كانت بلهفـــة الـــذكريات

فاسخري بالغـــدير ••• بالامنيات

+ ● +

وليس في كلامي غلو اذا قلت : ان شعر الدكتور يوسف عزالدين مستودع عواطف جامحة ، وحساسية مفرطة ، ينفس به عن ألمـــه المكبوت ، ويصوغه بتعابير بليغةٍ متساوقة ••! وظروف الحياة التي عاناها هي التي املت عليه مواضيع شعره !••

وقصيدته (ديجور الغدير) نظمها وهو يشكو الظمأ والحيرة والضياع •• وبين جنبيه مرجل يغلي بالالم ، كيف لا ، وهو يقف اليوم على الغدير ••• الغدير الذي تنطوي في ضفافه الخضر أجمـــل ذكريات حبه ، وأسعد لحظات عمره • وامتع ساعات اللقـــاء مـــع معشوقته •• انه اليوم يلفه الديجور بظلامه الرهيب ، فيلوح قبـــرا موحشا تطبق عليه سحائب السكون الممل ••

وفيها يصور العواطف العنيفة ، والانفعالات النفســـية الثائرة ،

ورهافة الاحاسيس . احاسيسه المكبوتة ، ومشاعره الحبيسة ، بعد ان تشبعت نفسه بالآلام ، فأنشد وهو هائم الى حد الاستغراق ، قائلا :

نشـوة الحلم .. في لـذيذ الليالي
ضـحكة الصب في ذرى الآمـال
زفهـا البشر ... طـافح الامنيـات
في دمـاء الغـروب .. والصـبوات
فاذكـريه .. في ليـلة الذكـريات
هام في سـاعة الغـدير .. وهـاتي
حلمـاً ضـاحكاً .. وحسـن مآل
يا ربيع الغـدير ... هل فيك حسـن
يتغنـي بمعـزف فيـك فـن
ضـاق ذرع الخريف .. والصبح دجن
مشرق الليل ، حانيا - فيـك - خـدن
في ضـمير الغـدير منك ، سـؤال
سـخرته بحبـك الآمـال
أمـل القلب ضـاحكاً فيـك سـن
الغـدير .. الغـدير كالديجـور
بعـد أن كـان نشـوة .. للحبـور
يتـنزى من لهفـة الاجيـال
في جـواء .. ملئـن بالاهـوال
فرمـاد الربيـع .. في اذهـال
صـار في نجمـة الحقيقـة صـدقاً
فاسـعفيه .. يا لذعـة الانتهـال

بدموع الغـــروب .. مـــن آمــال

ولما كان الشاعر قد قضى فترة طويلة في لاسكندرية فانه طالما هرع الى البحر مع حبيبته الحسناء فيركضان معا على الرمال السمر كالاطفال، وهما يحلقان في أجواء الغرام ، لا يخشيان همس الحساد ، وعذل الوشاة ، وينهبان لذاذة العيش ، ويسبحان بين الأمواج المتراقصة ، ويهيمان في أفياء العطر والندى ، وينشدان القريض في لحن عاطفي مسكر ، ويخلقان لهما عالماً من الأخيلة والرؤى الزاهية ، .. ولكن سخرية الاقدار كانت لهما بالمرصاد اذ فرقت شـــملهما ، وبددت أحلامهما ...

واليوم وقد جمح بالشاعر الهوى والوجد ، وهزه الحنين الى مراتع الصبا ومغانيها . يقف على ضفة البحر وهـــو غارق في لجج التأملات ... فينظم قصيدته (أيها البحر) لان الشعر عزاؤه الوحيد، فيذيب عليها من روحه صفاء العبارة ، ورقـة الشعور ، وتسلسل المشاعر ، وانسجام المعنى واتساق الخواطر ، ويجيد التعبير عما في نفسه من قلق واضطراب ، ويحسن الكشف عن عمق الاغـــوار العاطفية التي تصطرع في أعماقه .

وفيها يعنى في صقل تعبيره ، وتجويد ادائه كل العناية وتبدو رافلة في ابراد خلابة من اللفظ الجميل والصفاء والنقاء والسحر . فقد همس الينا بتجاربه وهو في لحظات التجلي : قائلا بمنتهى البساطة واللاتعقيد في هذه القصيدة التي ألقاها في مهرجان البحر :

رعشـــات الحنين نحـو الوصـــال
عصفت بالمشـــوق عصف الليـــالي
فتغنت ذكرى الغـرام اضـطراما
وجنـــوناً ولـــوعة للوصـــال

جئت يا بحر اشتكي من نواهـــا
فأصـغ يا بحــر ان شكوتك حالي
كم ركضنـا على الرمـال سـروراً
ثم همنـا في الحب كالاطفـال
ما خشينا الوشـاة نموا علينـا
أو لهمس الحسـاد والعـذال
ونهبنـا لذاذة العيش صـفواً
وسبحنا بمـائك السلسـال
وعلى الرمل كم نظمنـا قريضاً
ساحر اللحن عبقري الخيـال
قد شكونا لك اضطراب معنـىً
بعد أن عاش ناعمـاً في الجمـال
وشربنا بذوب دمـع كؤوسـاً
طافحـات بدمعـي الهطّـال
هـات يا بحر ذكريات هـواها
فهـواها يفـوح بين المجـالي
خفقـات المهجـور نحـو هواها
آهـة الحب في فـم الاجيـال

وتختلج في نفسه ثورة انسان متمرد ، وتجتاحه لواعـج من انقباض وكدر . وتتحرك فيه كوامن الاشجان ، وهواجع الاحزان ، وتلتهب في جوانحه جذوة الآهات ، بعد ان رأى حبيبته تتنكر له ، وتتركه فريسة للالم المضني ، فينثر أنغامه متشحةً بأطياف اللحون ، ويتراقص قلبه الذبيح على تراجيع الأنين ..!

وتطرق مخيلته الذكريات السعيدة ، يوم كانت نجاواه العذاب تتراقص بين السراب ، ويزهو حلمه الجميل مردداً لحن الشباب !

ان قلبه يعود اليوم مشتاق للغزل والهوى ، والهيام في دنيا الاماني ، وارتعاشات الاصيل . فهو يحن بالثغر الوردي والشعر الطويل .. وراح يضمخ ارجاء الصبابة بالعبير ويعطر الحب الندي بالاريج ، وتهيم صبوة أحلامه في جنح الظلام ... ويناشد حبيبته ان لا تعتب عليه ان شكا الصبابة في النوى ، واضاع احلام الأماني بين انياب الحياة .. فهي التي تركته يشتاق للامل المضمخ برؤاه..فهل من سبيل الى العودة اليه ، والترفق به ، فانه صب تخلبه الفتنة الطاغية الآسرة .. وغرامه تائه عبر السنين !.

والقصيدة تنطوي على متانة السبك ، وجمال العبارة ، وعمق التصوير ، وصدق العاطفة . تفيض لوعة وهياما . وتلعب بالافئدة ، وتسحر المسامع . وفيها يعلو الى سماء الشاعر المتصوف الحائر القلق، فيقـول :

ودعت أحلامي ، وارهقـني ارتيـاعي والحنـين
فنثرت أنغاما ، محطمـة ، بأطيـاف اللحـون
وتراقص القلب الذبيـح ، على تراجيـع الانـين
فلقـد تركت محطم النجـوى ، يبـوح .....
وتنكرين
هذي نجاواي العذاب ، تراقصـت بين السـراب
وزها بك الحلم الجميل ـ مرددا ـ لحـن الشـباب
فاذا شدت ألحانه ، أيفـوز قلبي بالجـواب ؟
أم أنت مثـل سـواك ، ان باح المتيم ...
تهجرين

قد عاد قلبي للهـوى ـ يشتاق ـ للغـزل الجميـل
ويهيم في دنيـا الأمـاني ، وارتعاشـات الأصـيل
قـد جن بالثغر الجميل ـ جوى ـ وبالشعر الطـويل
وتـردد الالحـان افـراح الهـوى •••••
للعاشقين

ضمخت أرجـاء الصبابة ، مذ شـكوت لك الغـرام
وتعطـر الحب المنـدى ، بالاريج وبالهيـام
وعليـك هامت صبوة الاحـلام ، في جنـح الظـلام
ان سـار عطـر هـواك في قلبي لظـى ••••
لا تدركين

لا تعتبي فلقـد هفا وشـكا الصـبابة في نـواه
وأضـاع أحلام الاماني ، بين أنيـاب الحيـاه
وتركتـه يشـتاق ، للأمـل المضـمخ في رؤاه
فترفقـي فالصـب تـاه غـرامه ••••
عبر السنين

وعاد في قصيدته (الحلم فات) يذكر حبيبته باللقاءات المتواصلة ايام كانا يتقاسمان معاً لوعات الانين، وحلم العاشقين ، ونار الشجون، والرصاص يلعلع ، والعين منهما تدمع •• وهو يسامرها الاحلام بين قبـلات الهوى •• وكأني به يتحدث عن تفريق مظاهرة في العهد المباد مرت بهما وقد فرقتها الشرطة بغاز مسيل الدموع وفيها رمز الى ما كان يقوم به العهد المباد من قسوة ضد الشعب

والقصيدة مشحونة بحدة العاطفة وعنفها ، وتجسيد لصـدى انفعالاته النفسية ، واصطخاب مشاعره ، حافلة بصـوره الجميلة ، ومعانيه الساحرة ، وانطلاقات خياله ، وسبحات فكره ، وتجربتـه

الموحية المتماسكة . واحساسه المتناهي في الرقة .

انها شعر له جماليته وفعاليته ، ونهلة عاطفية حالمة ، وتعبيرها صادق عن شعوره نحو حبيبته . ودليل واضح على صدق التجربة الفنية ، وقوة الابداع في المخيلة .

ان الشاعر يعبر عن مشاعره القلقة وخلجاته النفسية بكل بساطة ، ويفصح عن العواطف الفردية لفرط ما به من رهافة الاحساس بالجمال ...

ولم تكن القصيدة غير هزات عاطفية وانفعالية وتسرح في صور شعرية رائقة مع جزالة التعبير ، ورصانة الاسلوب . والموسيقى تنسجم مع تنوع المعاني والصور ودفق الاحساس في كل كلمةفيقول:

هل تذكرين ....!!
أم تجهلين ....!!
ايام لوعات الانين
الحلم فات
لم انس حلم العاشقين
تضمه نار الشجون

●

هل تذكرين .....!!
ذاك الرصاص يلعلع
ام تجهلين
العين منا تدمع
سامرت احلامي فهل تتحقق ؟؟
ما بين قبلات الهوى
ثغر المتيم يغرق

لقد كانت حياة الشاعر سلسلة من المعاناة النفسية ، والصراع الداخلي ، تتقمصه الروح الكئيبة ، ويشوبه الأسى ، ويعذب الألم نفسه ، ويعصف بأعماقه ويعاني قسوة الحرمان • ويتعمق الاحاسيس، ويتهجد في هيكل ذكرياته الماضية • ويرسم ما يجول بخاطره من ملامح وصور • وما تختلج به أعماق نفسه من لواعج وشجون • ويعبر عن انصهاره في ضرام تجربته ويرسمها بأحاسيسه • ويسكب على معانيه فيضا من ذاتيته ••!

وقصيدته (إبسمي) التي جاشت بها شاعريته يتجلى فيها الألم بأسمى معانيه • وتجسم احساسات عاطفية مكبوتة تنشد الانطلاق وتمثل الحالة النفسية التي عليها الشاعر ، والتي تغلب على كل الشباب القلق الحائر !

انها ذات التصوير النفسي العميق ، والتجربة الانفعالية الذاتية • والفيض من الاحاسيس ، والتعبير الموحي المؤثر ، والعبارة البسيطة الحية ، وترابط الصور المتماسكة •

لقد سئم حياته التي تتلظى بجحيم الزفرات ، ونأى عنه السرور ، وجيوش الاحزان تفري فؤاده ، كوته بجذوة الذكريات •• فهو ضجر النفس ، قلق الروح ، يستنجد بمحبوبته ان تبتسم له فينطلق في أفق واسع رحيب ، يأتلق اشد الائتلاق ، ويموج بألوان البهجة والمرح •

والقصيدة رائعة لما اضفي عليها من فيض عاطفته ، وجيشان شعوره ، ولسلاستها وحسن صياغتها ، حيث قال :

إبسمي

إبسمي لي ، فقد سئمت حياة
تتلظى بجاحم الزفرات

واملئي قلبي الحزين سروراً

فينسى الاحزان بالبسمات

تاه عني السرور في مفرق العمر

وولى في غصة الغصات

أنا لم اسأل الحياة هموماً

فعلام الهموم تملا حياتي

وجيوش الاحزان تفري فؤاداً

قد كوته بأحزن الذكريات

إبسمي لي - يامنية القلب - يوماً

تمنحي القلب أجمل الأمنيات

وحينما لاح شبح الفراق بينه وبين حبيبته (تينا) وكانت قد أخذت قلبه رهينا لديها ، سرعان ماعصف في أعماقه الالم ، واعتره اليأس ، واستبدت به عاطفة مشبوبة تضطرم بالانفعالات الوجدانية . وقرح جفنيه السهاد ، وطفق يرجوها الرفق بفؤاده الذي تلظى انينا بعد ان حرقته بنار النوى ، وسقته كؤوس البعاد .. فهي راحته وعذابه ، وانها سعادته وشقاؤه ..

وهكذا ألهب يوم الوداع في نفسه شرارة الانفعال ، وفجر فيه التيار العاطفي الجياش ..! وكشف عن هواه المستعر ..

وظل الحنين يعاوده الى أيام صباه ، وفي خاطره تمرح أبهج الذكريات ، وتراود جفنيه أطياف الحبيبة ، ويسبح فكره في عالم الخيال ، ويتغلغل الى اعماق الروح ..!

وفي القصيدة صور تموج بالالوان الزاهية ، وتنم عن عاطفة مكبوتة نحو حبيبته التي داعبت خواطره ، وبرزت جلية من خلال أبياته .

انها النغم الحالم الذي ترقص على خفقاته القلوب ، والشعلة المتوهجة في طوايا الضلوع • انها الشعر ذو الاسلوب السلس المعبر البسيط ، والذى تمور الحياة في كيانه • ويفيض بغنى وجمال وخصوبة ••! ومن طريف ما حدثني به :

انه لما كان يدرس في جامعة لندن على المستشرق الكبير الفرد گيوم ، أحيل على التقاعد واستعد للسفر الى امريكا ، فذهب الشاعر يودعه فضحك الشيخ الكبير • وقرأ له المقطع الاول من القصيدة وهذا دليل الاعجاب والتقدير بشعر شاعرنا

وفي تعبير جمالي صادق ، ونغم غنائي ساحر ، ورنة موسيقية ، ونغمة حلوة • يقول :

مع السلامة (تينا) اخذت قلبي رهينا
ففي البعاد اذكرينا ومن رضاك امتحينا
مع السلامة تينا
تينا ارفقي بفؤادٍ اخذت منه حياته
لم تتركي من هواه الا جوى وشجونا
مع السلامة تينا
هذا الفؤاد تعذب وما شك في هواه
وقد أردت نواه حتى تلظى انينا
مع السلامة تينا
هل تشعرين بشوق ؟ وانت ألهبت قلبي
ألم تحسي بحب اقلقت فيه الشجونا
مع السلامة تينا
يا راحتي ، وعذابي رفقاً بقلب تعنى

بحبكم ما تهنى   إنا بهذا رضينا

مع السلامة تينا

لقد بلغ الحب قمته لدى الشاعر يوسف عزالدين المشبوب الخيال ، المفتون بالجمال ، الحب الذي زاد في غناه الشعري واخصاب القريحة ، وعجز عن كتمان ما في قلبه من أشواق ، وانساق وراء سراب خادع يتلمس مواطن الجمال .. فنظم العديد من الروائع الشعرية الخالدة التي يشع الوفاء من معانيها ، وتكشف عن حياته ، وبعض جوانب شخصيته . وتعبر عن مشاعره وطيوفه وتمثل نفسه في رغباتها وتأملاتها وطيوفها ..

وظل يعيش في عالم من نسج احلامه ، وفي مثل هذا الجو الشعري . تهزه دوافع الحب ، ويتحدث عن الجمال الاخاذ ، ويرسم أرقى صوره من خلال تجربته العاطفية ، في شعور صادق ، وتعبير جميل تحس له في السمع وقعا موسيقيا مطربا ..!

ولكن حبيبته التي منحها قلبه ، واستأثرت بعواطفه وافكاره ، والتي كانت عواطفه نحوها عنيفة ، وشديد الولع بها . سرعان ما شرعت تهزأ بأحلامه الوردية ، فتحطمت اعصابه على صخرة الحب ، ورأى آماله تنهار ... وكان ضياع عمره في صحارى الغرام هو السبب في طغيان روح التشاؤم والالم في شعره ..!

وتثور فيه لواعج الذكريات ، وتتفاعل فيه مختلف العواطف المتدفقة من أعماقه النفسية ، ويحس بمرارة فشله في ميادين الحب ، ويكتسب أكثر من تجربة مريرة ويستوعب بوعي وادراك خبراته في الطباع والنفوس ، ومن خلال الضباب الذى يكتنفه ، يشعر بثورة ملتهبة في دمائه وعروقه واعصابه . فلا يستطيع ان يكبت فورة سخطه،

وهو في أشد حالات الغضب ، وفي ذروة الانفعال الشديد ، ينظم قصيدته (لاتعطفي) وهي تجربة شعورية عاناها الشاعر بنفسه ، وتمثل قلق شبابنا العربي المعاصر في دروب الحياة • فيقول :

لا تعطفي ليلى علي
فلا أحب المحسنا
جوري كما شاء الهوى
نسيت صبابتي الهنا
ما جئتكم ••• متذللاً
ولكي اكون الهينا
ان لم تكوني لي
فلا عاشت •• صبابة حبنا

وبدا حبه زهرة يعروها الذبول ، ويتوقف فيه نبض الحياة ، ويظهر لنا هذا الأمر بكل وضوح في قصيدته (ضحكة وضحكة) ، الضحكة التي كانت تثير حساسية الشاعر غدت بحة في قلبه العليل • وحسن حبيبته البهيج قد ولى ولن يعود شبابها بالتجميل • ولم يعد قريضه ذو الانطلاقة اللفظية الرائعة ، والخصائص الاصيلة المتميزة • والفصيح المبنى • والبليغ المعنى يتغنى بحبها ، فقريضه لا يترنم الا بالجمال الخلاب •

لقد مات الحب الذي كان يقتات منه زاده الروحي ، وان بواعث الاسى والالم •• هي التي باتت تملي عليه اشعاره فتنساب عواطفه في أسى دامع ، وهذه القصيدة تعبير عن عاطفة قوية ، وانفعال حاد ، واحساس مرهف ، انها وحدة مترابطة الملامح والصور ، مشحونة بالتفاعلات العاطفية ، وقد أجاد التصوير بدقة ، تصوير الثورة التي

تغلي في أعماقه . الثورة التي أهاجت في مخيلته ذكرى كانت قريرة في الاعماق ، واضرمت في نفسه لواعج الحب ، واشواق الغرام .

انه يعبر عن أحاسيسه العاطفية الدافقة ، ويصور اصطراع الانفعالات الموغلة في النفس ، ويكشف عن مكنونات طاقاته المتدفقة القوية . وهذه القصيدة تستهويني عباراتها المنمقة وبما تحمل من دلالات وايحاءات اكسبت شعره قيمة فنية وثراء جماليا . فقد قال :

ضحكة أسكر الفؤاد شذاها
بحة ، قد غدت بقلبي العليل
وجمال الالحان في الافق الحاني
نشازاً غدت بناي الخليل
ماتت الضحكة الطرية من فيك
فلا تركني الى المستحيل
وذوى حسنك البهيج وولى
لن يعود الشباب بالتجميل
لم يعد صوتك الحنون حنونا
بل غدا بحة لكل عويل
يا سعار الآلام في الافق الباكي
ويا دمعة الفؤاد الذليل
راح وحي القريض عنك وولى
ليس يوحي القريض غير الجميل

وفي قصيدته (الأوتار الرعشاء) يعيش التجربة حية نابضة . ويجسد الجانب الانفعالي من العاطفة ، ويبرز تصويره الدقيق للاحساسات العميقة المضطرمة في دخائل نفسه ، ومكنونات قلبه ..

لقد كانت علاقاته العاطفية مخيبة للآمال ، ولم يفتر له ثغر الدنيا ، فشعر بالألم يتفاقم في نفسه . واجتاحه احساس جارف بالحزن ، وسيطر عليه ألم النفس الحيرى التائهة ، والذات القلقة الشاردة وادلهمت آفاق حياته . ورانت على قلبه المترع بالاشواق سحابة من الألم ، وخيم عليه دخان الحزن الكثيف ، وازدحمت المعاني والصور في مخيلته . وشرع ينشد لقاء حبيبته ولكن بعد فوات الأوان ...

انها قصيدة يصور فيها حقائق حياته الغرامية ملونة بعواطفه ومشاعره فيها الشيء الكثير من عناصر الصدق . والموسيقى الشجية الجرس ، وفنية العبارة ، وجمال المعنى . والمصوغة بعبارات مشبعة بالنغم الحزين .

فقد انكمش على ذاته . واستلهم ذكريات الماضي . والأسى يتفجر في قلبه .. وفي خضم القلق النفسي المتعاظم راح ينشد شعره الذي جعله متنفساً لآلامه وآماله وخواطره فيقول بكل شوق وتلهف :

أنا ... !
من أنا ... ؟!
لا تسأليني من أنا ؟
قد كنت مثل الحب مثل شبابنا
الشعر يشدو غنوتي
نغماً يموج بحبنا
أنا همسة الأحزان وقعها الضنى
وعلى رنين الحزن

في أفق السحابة سرنا

+ ● +

الشوق أسكره الصدى
وتنهدت خمر الندى
وأضاع حلو لحونه
في ذوب أوهام سدى

+ ● +

أوتاره الرعشاء ذوبها الأسى
فغدا يناجي أمسه
فأذاب أدمعه ألما

وبعد أن قطع الشاعر مرحلة من مراحل حياته ، وهي مطالع الشباب أطل علينا من سماء أدبه الشامخ فعرض علينا صورا ونماذج من أشعاره حوت أدبا رفيعا • وآراء سديدة ، وبعداً في التفكير ، وسدادا في المنطق • استوحى مضامينها الرائعة ، من ينابيع الحياة المتدفقة • فيها انفعال قوي ، واحساس عاطفي عميق • يضفى عليها من جمال التعبير الشيء الكثير • ويلونها بابتسامة الأمل ، واشراقة الاحلام ••!

ولا غرابة فيما نقول •• فان الشاعر بعد أن أصبح من ذوي الاطلاع على قضايا الأدب ، والمواهب الحقيقية ، والنشاط الفكري المتطور • وسطع نجمه في آفاق الشعر • وشارك بكفاياته ومواهبه لخدمة المواطنين • وتعاطف حيال شعبه وتجاوب معه • وصار يغلب على نتاجه الطابع الانساني المتمثل في حبه للناس جميعا • وحرص على ابراز الطابع العربي الأصيل ، والنزعة الانسانية

المتأصلة في نفسه . ووهب حياته لاداء رسالة الادب الملتزم ، والنهوض بالفكر العربي الى مستوى رفيع ، والتغني بالقيم الانسانية المتفائلة ...

انه انسان ذو ضمير حي ، صقلته المحن والتجارب ، التجارب الانسانية التي أضحت تمده بوعيها وطاقاتها ومعطياتها المبدعة . ومنحته موهبة أصيلة تؤهله لمهمة البعث والتجديد . وتهيئة جميع السبل والوسائل التي من شأنها تكوين جيل واثق بقدرته ، محب للخير .. يواصل مسيرته الطويلة الشاقة في دروب الحياة ..!

والذي يسترعي الانتباه أكثر من سواه هو أن الشاعر أدرك بفكره الثاقب ، وحسه الواعي ... ان الانسان يجب أن يرتفع على آلامه وهمومه ، ويتطلع الى الحياة بتفاؤل وينطلق في عالم جديد من الابداع ، عالم زاخر بالتفتح والصراحة والعمق ، فيه انشراح للصدور ، واطمئنان للفكر ، وتسوده براءة النكتة ، وروح المرح ، روح وثابة تتطلع الى المحبة والخير والجمال ، روح شاعرية صافية تحس بشعور غامر من الابتهاج والرضا والاقبال على الحياة والاستمتاع بها .

ومن الامور الجديرة بالملاحظة ان روح التحدي والتمرد هي التي باتت تسيطر عليه . فلم يعد يستسلم لاحزانه فحسب ، وتضاعف شوقه اللاهف الى النور . والتشبع بالافكار النافذة العميقة ، والوهاجة بالحياة . والمزدانة بالالوان والاخيلة ، المتألقة بالصور الجميلة التي تتوهج بالابداع والاشراق والفكر النابض بالمعاني المبتكرة ..

ان قلبه الانساني الاحساس والتعبير ، والمتفتح على الأمل

والخير والجمال ، زادته صروف الايام خبرة بالحياة ، وأصبح أكثر حنكة . وصار يعبر عن العواطف الانسانية ويعيش في أجوائها ويدفعنا الى التسامي بالذات ، وتطهير النفس من حزازات الحقد والكراهية والبغضاء . ونبذ الحياة الخالية من المبادىء والمثل . وغسل القلوب من أدران الأحقاد ، والتحرر من عاطفة الانانية وحب الذات ، واشباع ميولنا ورغباتنا من المعرفة الحقة . والمعاني البعيدة الغور ، واجتثاث جذور الانحلال والتميع من نفوسنا .. والتمسك بكل ما يجعلنا مرتبطين بشؤون الفكر ، الفكر الجماعي . والتخلص من خلق العوائق والمتاعب لنا ولغيرنا .

والشاعر في قصيدته (دع الاحزان) يثير في النفس أعمق الاعجاب ، فهي تمثل الروح الجديدة المليئة بالحياة والتدفق والموسيقى . وتشف عن وجدان أصيل كل الاصالة ، وتنبع من ايمان حار واع . وتنم عن وثبات ذهن متقد . تجسدت فيها يقظة الروح وقوته . والعاطفة الواعية التي تنبعث من خلال الكلمات قوية متماسكة . وخفقات القلوب المرفرفة ، وتنوع الخواطر الشعورية !

والشاعر ينقل الى القارىء الجو الشعري الذي يعيشه ، ويهيب به أن لا يدخل في روعه ، ويرسخ في واعيته ، في أن ينغلق على ذاته ، ويعيش أنانيته !

والقصيدة على ما فيها من قوة وحرارة ، وبما تثير في النفس من حب للحياة ، واسترسال مع أعراسها وأفراحها وبما تغلغل في أعماقنا السرور والنشوة وتشيع فيها الغبطة والانشراح دون خذلقة وتفلسف وتكلف ، فانها تدل على خصب شاعريته ، ورقة طبعه

الأصيل ، وعلى قدرته في التعبير عن تجاربه ودعوته النبيلة الى التغلب على الاحزان •• وتحمل مشاق الحياة ••

انها شعر السجية الذي يجري مع الطبع والاحساس ، شعر النفس المنطلقة ، والذهن المتفتح ، شعر العواطف الجياشة التي تموج في الارواح ، شعر الخيالات والافكار والالفاظ ، والمطبوع بطابع موسيقى رخيم •

انها نجوى قلب ، وتأمل فكر ، وبراعة التفاتات ، فيها لهفة حارة تنفذ الى الاعماق • صادقة الاحساس والتعبير •• وفيها يشن الشاعر أعنف الحملات ضد فتاة العصر التي لا تفي بالعهد ، ولا تلتزم بتنفيذه !

والشيء الذي لا يرقى اليه الشك : ان عدم الوفاء بالعهد ، لا يقتصر على النساء وحدهن ••• فان هناك العديد منا نحن الرجال من لا يجد حرجاً في خيانة العهود ، بل انه يذهب الى أبعد من هذا ، فيبخس حقوق الناس ويتلون تلون الحرباء ، ويتنكر لمفاهيم الصداقة الحقة ، ويضرب كل القيم الاخلاقية الكريمة عرض الحائط ••! ولا يتورع عن ارتكاب جرائم الدس والوقيعة والخداع • والارتماء في أحضان الرذيلة •

فالقضية ليست قضية نساء ورجال ، وانما هي قضية وجدان وضمير ونفسية ••!

ويقول الشاعر :

خليلي •• دع الاحزان والهم جانبا
فان فؤاد الحر بالهم ينقد
لقد لج دمعي مذ تناءت ديارهم
فلم يشف ، وجد النفس ، قرب ولا بعد

فهل مسعدي في الحب نغبـة شـارب
وقد ولت الاحـلام وانفرط العقـد
ألم تدر ان القلب صـدع بالنـوى
غداة رمتني ـ بالنوى بغيتي ـ دعـد
فدع عنك ذكرى الغيد ، والحب ، والهوى
مخافة أن يؤذيك ـ أن تعشق ـ الوجـد
فلا تحسبن عهـد الحسان مقـدساً
فان فتـاة العصـر ليس لهـا عهد

لقد امتاز الشاعر بالحساسية وتدفق العاطفة ، وحيويةالانفعال، والصدق في التعبير عن مشاعره ، وما تعج به نفسـه من ميل الى النزعات العاطفية ، انه يشعر بذاته وكيـانه ، ويعتز بكرامته التي تنبض بها قصائده •

وشعره ذو الرصيد الضخم من الافكار الخيرة ، غني بألوان الفن والتأنق ، زاخر بالحلاوة والعذوبة ، حافل بالعبارات الطلية الرصينة • ينظمه في جو من المتع الروحية ، فيبلغ الانفعال عنـده ذروة التوهج والاشراق ، وينم عن المعنى البديع الدقيق ، والالوان العاطفية الملهبة للمشاعر ، فتتأثر به نفوسنا لما فيه من الصور الزاهية الالوان التي تكفل له سمة البقاء والخلود ••!

انه شعر يبعث على الغبطة والارتياح ، ويشيع الفرحوالسرور في نفوسنا ، لاستشرافه لحياة جديدة ، واعادته الى أذهاننا ذكريات عذبة ••• وذلك أمر واضح في النماذج الشـعرية التي أوردناها خلال دراستنا لدواوينه البديعة النفيسة •••!

وليس هناك من ريب في أن الأدب تعبير عن الحياة ، وغوص

الى كنه العواطف واستخراجها ، وكشف عن أسـرار النفس وتناقضاتها . ورسم للبيئة بكل ما فيهـا من محاسن ومساوىء . وافصاح عن الرغبات الـكامنة في نفس الشاعر ، والقلق الروحي الذي استحوذ عليه . وكل أدب لا يهدف الى رسالة يؤديهـا الى الانسانية يحمل معه عوامل اندحاره وموته .

ومن الاستدلال والاستشهاد بالنماذج الشعرية التي اقتبسناها من ديوان (الحان) كانت برهاناً لا يرقى اليه الشك بأن الدكتور يوسف عزالدين كان شاعر الحياة بمعناها الشامل .. اذ منهـا استوحى مواضيع شعره ، واستلهم أفكاره ... فهو دائما وأبـدا يضطرب مع الناس في كل الميادين فيشاركهم أفراحهم وأتراحهم ، ويندمج في كياناتهم ، ويكافح باستبسال في سبيل أن يحققوا غاياتهم في بلوغ المستقبل الأفضل ... وقد رافق الحركة القوميةالتحررية في سنوات كفاحها الشاق الطـويل من أجل الحرية حتى تحقق النصر العظيم بقيام الوحدة بين العراق ومصر وسورية ...

وقد أحيل على المجلس العرفي العسكري ايام نوري السـعيد وسجن لانه كان قد ألف جمعية سرية لتحقيق الوحدة العربية .

ان الدكتور يوسف عزالدين يحب الانطلاق ، ولايميل الى اخضاع الشاعر للقيود ، وقد توسمنا في مجموعته الثانية (ألحان) نمواً مطردا ، وابداعاً مستمراً ، اذ نظم أكثر قصائدها في الاسكندرية ميناء الجمهورية العربية المتحدة ، حيث الجو الادبي هناك يدفـع الشاعر الى الانتاج ويغريه على الابتكار والخلق الفني ، فقطع مرحلة حياتية دافقة بالحركة والصراع الفكري ، وانها أوفر شـاعرية ، واكمل صناعة مما في مجموعته الاولى (في ضمير الزمن) .

انه بالرغم من جنوحه الى التجديد في تناول المواضيع الشعرية الشائعة الا انه ظل يدور في فلك العمود الشعري التقليدي ، ولم يحاول الافلات منه الا في بعض الاحيان ... ولعل في مقدمة ما يتصف به شعره ، هو استخدامه الأوزان الخفيفة العذبة الايقاع، وتنوع القوافي ، وبساطة الفكرة المصوغة بقالب ساحر خلاب ، وابداع في التعبير الجمالي . ورشاقة اللفظ ، وسعة الخيال ، وتساوق الكلمات ، وموسيقى العبارات ، وبث عواطفه وتوزيعها على سائر أبيات القصيدة المطلية بأصباغ وتلاوين يمزجها بمهارة فائقة ، وابراز الصورة الشعرية الساحرة في اطار من الاسلوب العربي الرصين ، وتصوير الجو العاطفي بشكل ناجح ..!

لقد وجدناه شاعرا مترامي الخيال ، مترقرق الصور يتفتح قلبه للحب ، وينجذب نحو الجمال ، ويعبر عن أحاسيسه باخلاص وصدق ، ويفصح عن عواطفه المجنحة التي تنبض صدقاً وحرارة . ولمسنا في شعره سحرا وروعة ، وتناغماً بين الموسيقى والمعاني . وعبارات مشرقة ، وكلمات منتقاة ، ولمحات مضيئة . وتجارب عميقة.

وشاعر تلك مزاياه ، وشعر هذه عناصره ... حتماً انهما سيخلدان معاً عبر الأجيال والعصور ، لينيرا للناس ، كل الناس درب الحياة المثلى .. الحياة القائمة على اسس نبيلة من العدالة والمحبة والحق ..!

لمحات الحياة

- ٣ -

الدكتور يوسف عزالدين بالاضافة الى ما انطوت عليه شخصيته من أدب رفيع ، وتفكير ناضج ، وسعة أفق ، وسماحة نفس ، وخلق مثالي ، واعتزاز بالكرامة ، شاعر من شعراء التصوير العاطفي ، صقلته التجارب ، وأعطته نسغ الحياة ، وهو الى جانب بساطته وتواضعه الجم ، ظل رقيق الاحساس ، عميق الشعور ، كبير الاناة ، مطبوعا على حب العمل والانتاج والبحث ، ملماً بالتيارات السياسية والاجتماعية التي اجتاحت العالم العربي في هذه المرحلة التي يمر بها !

وبالرغم من كونه كاتبا لامعا ، فقد أسهم في الحركة الشعرية الجديدة بكل قواه ، وكان في أول أمره معلماً مغموراً في احدى القرى العراقية ولكنه بقوة عزيمته ، وصلابة أرادته ، وكفاحه الدائم ، ونشاطه الدائب ، قهر كل عقبة ، وتغلب على كل صعب ، فحاز على شهادة الدكتوراه في الادب من جامعة لندن بعد ان حاز على الليسانس والماجستر بشرف من مصر ، واستطاع ان يوسع مداركه وينميها ويغذيها بالثقافات الاخرى ، ويقفز بمواضيعه الشعرية الى الآفاق الفكرية الرحبة ، ويتجاوب مع المعاني الانسانية في محيطها الواسع ، ويتسم بطابع الصراحة

والوضوح والتمرد على التقاليد البالية الموروثة ..!

وانني أحب في هذا الشاعر عفويته وبساطته ، واقدره حق قدره لما في حياته وشعره من ومضات ذهنية متوهجة ، وابتعاده عن التصنع والغلو في تصوير الاحداث الراهنة ، واستخلاص الدروس الغنية بالعبر الخالدات ، وهو يشق طريق الحياة الشائك باستبسال وجهد وصبر ، فيغالب العوائق العاتية باصرار عنيد ، دون ان يلقي السلاح حتى حقق الحلم المنشود ، وظفر بالامل الباسم !

وانه لامر غني عن الايضاح ان نقول ان الدكتور يوسف عزالدين شاعر استوحى موضوعاته من صلب البيئة التي عاش فيها ، وعكس تجارب الحياة في شعره ، ذلك الشعر المفعم باصالة الفن من حيث مضمونه وصوره الجمالية ، وتدفق حرارة الحياة في شرايينه ، تسمو فيه الافكار الخيرة ، والمعاني السامية ، والاحاسيس النبيلة ، والتعبير الجميل ، والوصف الرائع ، مع صدق اللهجة ، وشمول النظرة ، وجلال الفكرة ، وهو بما يرسم من صور ، ويبتكر من أخيلة ، ويلون من ظلال ، ويبدع من رؤى ، فنان أصيل يهز الوجدان ، ويحرك النفوس ، ويسحر القلوب ..!

وهو ينظم الشعر للتعبير عن أحاسيسه ، والافصاح عن مشاعره ، ولابراز الواقع الذي يحياه ، ويستمد مقومات فنه من ذات نفسه ، وقد صدر الديوان بالابيات الثلاثة التالية بعد ان مر بتجربة عميقة عاشها ، وهو يقدم بها ديوانه الجديد الذي لم يكن غير عصارة قلب مفزّع اللهفات ، وقد لاقى الشاعر في سبيل آرائه المتحررة عنتا وتعسفا



الدكتور يوسف عزالدين وعلى يمينه الاساتذة فوزي الميلادي ، محمد عبدالمنعم الانصاري ، أسعد حسني ، عزيزة كاتو ، صديق شيبوب ، وعلى يساره محمد زيتون في حفل تكريم أدبي في الاسكندرية اقيم في دار الاستاذ نيقولا يوسف في كليوباطرة سنة ١٩٦٠ .

وشقاء ، فالليالي المعتمة لم تبق منه غير لهاث الحياة ، وصدى اغـان تقتات بالذكريات الحزينة ، انها تعبير صادق عن ذاته القلقة الحائرة وقطعة من صميم قلبه ..!

هـــذي عصـــارة قلبٍ   مفـــزَّع اللهفـــات
لم تبـــق منه الليـــالي   الا لهـــاث الحيـــاة
صدى حطـــام الاغاني   يعيش في الذكـــريات

وفي قصيدته[1] « الى ابناء الجزائر » يعبر فيهـا بالاحاسيس الملتهبة عن وجدان الشعب العربي الثائر في الجزائر ، وهو مؤمن بحتمية انتصار قضيته العادلة ، فراح يرفع صوته مناشدا ومستصرخا الضمير العالمي للوقوف بجانبه في معركة الكرامة والحـــرية ، تلك المعركة الدموية الهائلة التي قدم فيها المجاهدون الجزائريون أغلى التضحيات ، ليصنعوا التاريخ بدمائهم الزكية ، وقلوبهم مفعمة بالثقة والعزم والايمان الراسخ باحراز النصر على قوى الظلم والطغيان ، وان دماءهم الطاهرة التي تراق على أرض الجزائر الباسلة تضـــيء للشعوب المضطهدة طريق الكفاح والاستقلال والخلاص ، وهـــم مصممون على مواصلة حربهم التحررية حتى يتوج نضالهم المـرير بأكاليل الظفر . تلك الحرب البطولية التي يخوضونها بكل بســالة وجرأة وحزم . فيضربون أروع الامثلة في التضحية والوطنيـــة والاستشهاد ، وان ثورتهم المقدسة ضد الاستبداد والارهاب والعبودية تزداد ضخامة ومضاء وقوة يوما بعد يوم ، للقضـــاء على المستعمرين

---

(١) كتبت هذه الدراسة الادبية والثورة الجزائرية المظفـــرة في عنفوانها وقد صدق عندما دعا أهل الجزائر في الاعتماد عـلى أنفسهم في أخذ حقوقهم .

الفرنسيين الذين عملوا على انتهاك حريتهم ، وانتهجوا ضدهم سياسة الاضطهاد والبطش والقمع ، وزجوا العناصر الوطنية في المعتقلات والسجون ، ومسخوا كل المفاهيم الانسانية واقترفوا الفظائع الوحشية ، والجرائم الرهيبة ، لابقاء السيطرة الاستعمارية بكل ثمن ، فأصبحت الجزائر العربية مسرحا للمجازر الدموية والمذابح المروعة .

ان حرب الابادة الشاملة التي ما زال الاستعمار يشنها بكل عنف وقسوة ضد الوطنيين الاحرار لم تفت في عضدهم فحسب ، بل تحفزوا للانطلاق والثورة ، وخوض غمار حربٍ ضروس ، أبدوا فيها من آيات البطولة والتصميم والاصرار على بلوغ أهدافهم الوطنية ، ما جعلهم موضع اعجاب وتقدير شعوب العالم كلها ، وقد استطاعوا بفضل وعيهم وتماسكهم وصمودهم أن يلقنوا فرنسا الغاشمة دروسا لاتنسى ، وسوف تمنى بأشنع هزيمة ، مهما طال الوقت فان مواكب المكافحين الاحرار تنطلق اليوم نحو تحقيق غاياتها وتناضل بكل ضراوة وعزم وتضحية .

والشاعر بعد ان اغتنى بالتجارب الصادقة لم يعد يستطيع ان يخفي ما يساور نفسه من هواجس تجاه الجزائر وهي ترزح تحت نير الحكم الاستعماري الجائر ، وتسير قدما في درب كفاحها المشروع العادل من أجل نيل حريتها واستقلالها وسيادتها الوطنية ، حيث انها قد منيت بالاستعمار ، فهي تقاتل اليوم للتحرر من قيوده الصدئة ، وللخلاص من حالة الاضطهاد التي تسود ابناءها الذين يدافعون عن حقوق مواطنيهم ، ويخدمون قضايا مجتمعهم ، وان دماءهم الزكية التي أراقتها قوى الشر الاثيمة ستبقى شعلة وهاجة تستنير بها الشعوب التي تكافح في سبيل نيل الكرامة والحرية والعزة !

والشاعر يدرك ان أواصر الاخوة العربية لن تنفصم عراها .. اتخذ من ثورة الجزائر سبيلا لبث فكرته.. راح يحرص في قصيدته على تقصي كافة تفاصيل المأساة الرهيبة، حيث تبرز بشكل واضح نكبة الشعب العربي في الجزائر البطلة ، وهو في ذلك انما يؤدي جانبا مهما من الرسالة الانسانية النبيلة التي يضطلع بها ، والتي تلقى على عاتقه كشاعر عربي يستمد عناصر شعره الحية من آلام الشعب وآماله بفضل ما يتسم به ذهنه المتفتح من ادراك وفهم ووعي فيقول :

بكم وبالعـزم العنيـد وبالـدم
متدفقاً مـن كل ليث ضيغم
بالثاكـلات النائحـات عشيـة
بالـدمع تذرفـه عيـون الايم
بالطفلة الولهى تسـاءل أمهـا
اماه اين ابي ، بمـن انا احتمـي
بأسم الضحايا في جميـع ديارهـا
قـد جئت اطلب ثار موتور ظمـي

لنقف على هذا التسلسل الجميل في قسمه هذا وكيف أنهاه فقد بدأه بدموع الثكالى اللواتي ينـدبن أبنائهن والايامى اللائي يبكين بعولتهن ، ثم والاطفال الذين يتساءلون حيارى عن آبائهم الذين لم يعودوا الى رعايتهم وبالضحايا الذين استشهدوا في سبيل امتهم وقوميتهم وانه أقسم بهؤلاء أن يأخذ بثأرهم .

ونراه بعد ان حذر الجزائر من العهود التي كانت تكال لهم رسم صورة لايام الجزائر في استقلالها وصـور الصبايا يمرحن في ظل الحرية فيقول :

لا تأمني طيب العهـــود ولطفهـــا

وخذي حقوقك من مسيل العـــدم

هذا شـــبابك روضـــة معطـــارة

رف الشذا فيـــه كـــور البـــرعم

واستافت النسمات من أزهـــاره

ثم انتشـــت من لـــذة المتنعم

والغيـــد تمرح في بطاحك غبطـــة

فتهيـــم انفاس الـــربيع المغـــرم

والبيـــد عطرّها الغناء محييـــاً

مـــن ناي راعٍ أو رباب ملهـــم

وغدوت في مجد البطولة صـــفحة

ودم الضحايا كان حبـــر المـــرقم

ابني الجزائـــر يا حماة تراثهـــا

ودروعهـــا في المـــوقف المتـــأزم

قسماً بثورتكم ، وثورتكم ســـنىً

للنصـــر في الليل الطـــويل المظلم

ويشد أزر اخواننا في الجزائر ويقول صراحة ان العـــرب في مختلف أقطارهم جسم واحد وقلب واحد فاذا صـــرخ الجريح في الجزائر فكل بلاد العرب تئن لصرخاته واذا استشهد الشهيد فالحزن يعم كل العرب ولن يقدر العرب على العيش الكريم الا بالوحدة يوم يكون العرب شعبا واحدا يناضل كالبنيان المرصوص فيقول :

انا واياكـــم فـــؤاد واحـــد

والـــويل للمســـتعمر المتحـــكم

انا اذا شــخبت دماء جريحـــكم

لبــاه كل بني العـــروبة بالـــدم

شعب العروبة في جميع ربوعهـــا

صـــفاً يناضـل مثل مـــوج العيلم

والشاعر يوسف عزالدين ينبع شعره من احساسه الصادق . ومشاعره الثائرة ، اعتمد التصوير العاطفي المثـــير ، وقد واتتـــه الظروف فأقام فترة طويلة في الاسكندرية ولندن للدراسة ، وتجول في فرنسا وهولندة وبلجيكا والنمسا ويوغوسلافيا وبلغاريا وسويسرا واليونان وايطاليا والمانيا وتركيا لزيارة مكتباتها الفخمة العامرة بأنفس المخطوطات ، وانمن الكتب التي انتجتها عبقرية الانسان عبر القرون الماضيات ، فكان بالاضافة الى سعيه للحصول على المعرفة ، والتـزوّد بالآداب الراقية ، يجتلي مفاتن الجمال ، ويعبر أدق تعبير واصـدقه عن الرعشة التي تعتريه ، ويلون أشعاره بأحاسيس القلبواختلاجاته رغم هذه الجولات نراه دائم الحنين الى القاهرة والى شـاعرة في القاهرة أعجب بها وتحدث عنها ولا أدري ان كانت له قصائد فيهذه الشاعرة غير هذه القصيدة البكر قد استوحاها من حبه لها ؟ فقـــد تمنى أن تفيض عليه بالحنان والرقة والسحر وشاعرنا يحب الفتاة التي تسيل رقة وتنساب عذوبة انه يهيم بذوات الـــذوق المرهف والاحساس الرقيق فقـــد كثر في شعره كلمات الحنان ففي هذه القصيدة وحدها ترددت ثلاث مرات واعتذر أخيرا فقد غلبه الحياء الذي أعهده به غلبه في النهاية على أمره .

ففي قصيدته (شاعرة من القاهرة) يقول :

افيضي علي بعذب القبـــل   وعبي حياتي بعزف الأمـــل

فقد حطمتني صروف النوى   وآذت فـؤادي حتى نمـــل

وغذي فؤادي بحلو المنى ... فقد ألهبتني سهام المقل

●

حياتي جحيم وما نفعها ... بغير حنانك يا منيتي
شفاهك نار ولكنما ... سيروي جحيمك لي غلتي
فضمي لصدرك هذا الهوى ... مشوقاً الى هذه الفتنة

●

افيضي علي بدفء الحنان ... فاني نسيت حنان الحسان
شعورك هذا الرقيق اللذيذ ... يترع كأسي بهذا البيان
فعذراً اذا ما شكوت الهوى ... يعذب نفسي الهوى والزمان

والاستاذ يوسف عزالدين قضى ردحاً من الزمن في مصر يتلقى العلم في جامعة الاسكندرية ، فلمس عن كثب طيبة شعبها العربي النبيل ، ذي الامجاد والمآثر الخالدات التي حركت في نفسه مشاعر كامنة ، وامدته بالقيم الجمالية والمثل الرفيعة ، والفن الرائع ، والخيال المجنح وفجرت فيه ينابيع المشاعر ، وعواطف الوجدان ، وفي قصيدته (فقد كانت الايام) يستعيد الى مخيلته ذكرياته الجميلة على شاطىء النيل السعيد حيث الهمسات الرقيقة ، والالحان العذبة ، والنجاوى الحالمة ، ودفء الربيع النضر ، وقد اشرب الشاعر حب مصر ، فلا عجيب ان تتدفق فيه مختلف الاحاسيس الكريمة التي تدل على شعوره العميق بحب العروبة في كل جزء من اجزاء الوطن العربي الكبير ، فتنساب من أعماقه هذه المقطوعة الشعرية ذات المضمون الواعي والشكل الفني بالجودة الفنية والتعبير الصادق انه الوفاء العميق لمصر فقد شطت به الديار وعندما رأى أحد أصدقائه يسافر الى مصر وقد أنهى دراسته أرسل لها عواطفه لترتاد مرابع الحب والوفاء حيث

همسات قلبه ما تزال ترفرف فوق النيل المنساب الذي تغنى بـه وبمصر وهتف بالجمال في ربوعها فيقول :

خذوا يا بني مصر فؤادي الى مصـر
فقـد كانت الايام فواحـة العطر
وقصوا على النيل السعيد مشـاعري
فكم همساتٍ في شـواطئه تسـري
ملأت الربيـع النضر شعراً بوصفها
فغنت بـه الالحان تثمل من شـعري
فقد كانت الايام حلـواً مذاقهـا
تتيـه من النجوى وتصبو مع البشر

ان التعليل الذي جاء به الشاعر في سبب حبه لمصر جامع مانع فهو قد قضى زهرة عمره وتسرب حبها في دمه وفي مصر كل ما يتمنى الانسان ان يراه وما يتصور الخيال فقال :

ترعرت في مصرٍ واشربت حبهـا
فلا عجب ان همت بالحسن والسحر
جمال وآمـال وخلـق ورقـة
وظـرف احباء وحب بلا غـدر
وعلم وآداب وفضـل ورفعـة
ومجـد اثيل قد غدا عزة الدهـر

وحينما ذهب الى بريطانيا للدخول في احدى جامعاتها والحصول على شهادة الدكتوراه • لم تسحره مدنية الغرب وتأخذه بتيـارها شـأن الكثير من الشباب الـذين يضـيعون شخصياتهم فيصـبح الفرد منهـم لا بالعـربي ولا بالغـربي انما تعلق فؤاده ، انما كان حنينه دائما الى وطنه الذي آمن به وتهكم من

اولئك الذين اضطروه الى السفر خارج العراق فقال :

وما عن هوى قد جئت لندن طالبـــا
ولكن قومي يستزيدون في الذكـــر
يقولون فيها كل ما يطلب الفتـــى
من العلم والعرفان والفضل والفخـر
ومن جاء منها بالشهادة راجعـــا
هو العلم الاســتاذ لو جاء بالكفـــر
ومن مضحكات الدهر اني بلنـــدن
لاصبح استاذ البـلاغة والشـعر

ويعجبه ما شاهده في المرأة الانكليزية من جمال أخاذ ، وسحر خلاب ، واختلجت في نفسه مختلف الانفعالات ، فأفصح افصـاحاً صادقا عميقا عن جوانب عاطفية فذة بأسلوبه القوي التعبير ، الجميل المعاني ، فقال بعنوان (سكسونية) :

يا رواء الربيع ، يا ضحكة العمر ، يا رائعـات الاغاني
يا جمال الحياة ، يا بسـمة الحلم في شـفاه الأماني
الجمال النشوان يختال في نهـديك كاختيال الغواني
بك قد باهت الحيـاة وغنت بهـائم الالحـان

●

وجهك المشرق المنير تراتيـل راهب في الصـلاة
اين منـك الحور الحسـان فانت ملء الحيـاة
هذه النسـمة الشـذية هامت بدافيء النسـمات
وتمنت هيمانة العطر سـكرى انفاسك العطـرات

انها قطعة من الادب الوجداني الرائع لا نجد مثاله الا لـدى

جميل بثينة وعمر بن ابي ربيعة من العرب ولورد بايرون ووردزورث وكوكرج من الانكليز وكوته لدى الالمان . هذا التسلسل الرائع في الوصف وتكرار حرف النداء الذي زاد في التأكيد على هذه المعاني والتراكيب الجديدة تفوق الشاعر به على كثير من القراء .

وعندما مر الشاعر بتركيا قضى ليلة ممتعة في (جراغان) وهي من مغاني استانبول حيث الاغاني تنساب ممتزجة بعذوبة الشعر ورقته ، والفرحة تضحك في كل مكان ، والدروب تضوع بعطـــر الاماني ، والقلوب مفعمة بأحاسيس الحب ، والليل ينتشي بوصل الغـــواني الفاتنات ، فتحس الفرحة تضحك والدرب يضوع بالشذا او تشعر وانت تقرأ هذه القطعة كيف ينطلق المسرور في هدأة الليل يسابق نشواته وامانيه وفي شعر الشاعر كثير من المعاني التي تحتاج لدراسة موسعة فقد اضاف كثيرا من هذه الاضافات وهذه الاوصاف في اللغة العربية قلما تجده عند سواه ولسعة اطلاعه على الآداب الأجنبية من تركية وانكليزية اثر في خلق هذه المعاني وابتكار هده التراكيب التي لــم يتوصل اليها شاعر عربي حتى الان . ومن أعماق تجربته العاطفية الجياشة ، وارهاف احاسيسه المتقدة يقول :

لست انسى ليـــلة في (جـــراغان)
والمنـــى يضحك مسرور الاغـــاني
تضـــحك الفرحة في كل مـــكان
فيضـــوع الدرب من عطـــر الاماني
ما هـــدوء الليـــل الا نأمـــة
من أحاسيس هوى قلب هـــواني
إذ ركضـــنا تسبق البشر سرورا
وانتشـــى ليلي من وصـــل الغواني

وفي (هامبورغ) أو (لندن) لا أدري التقى الشاعر باحدى الالمانيات الشقراوات فلفحته بلهيب هوى مستعر نفذ الى عماق قلبه الظامىء أبدا الى ينابيع الحب الصافية ، قلبه الذي لا يتوب عن الهوى ، والذي تسكره مفاتن الغيد الحسان ..!

انها حورية عذبة الحديث خطرت امامه فجعلت الحياة كلها محاسن . وتمايلت كأنها غصن من الاغصان ، وماس شعرها الذهبي على كتفيها كشعلةٍ من نار ، وقد ارتمت كالطفلة المدللة في احضان الشاعر فقال :

لم تبق غير الذكريات وطيبها
ومرارة الآلام والحرمان
يا قلب ويحك كل يوم واجف
نضبت قواك وانت بعدك حاني
يا ويح قلبي ما يتوب عن الهوى
قد اسكرته مفاتن الغزلان
كم ليلة غنت سعادة حبنا
طرباً بسحر الصوت والالحان
حورية عذب لدى حديثها
تجلو بحلو حديثها أحزاني
خطرت فالهبت الحياة محاسنا
وتمايلت غصنا من الاغصان
وكأنما الذهب المصفى شعرها
قد ماس في مرح وفي ريعان

وتبرز الطاقة القصصية في شعر الشاعر [١] في هذه القصيدة اذ رسم لنا صورة رائعة للوداع فهو بعد ان استجلى هذه المفاتن ورسمها زاهية ناطقة جاء يصف الوداع وشعر الوداع كثير في الأدب العربي ولكن لم يصل الى هذه النبضات الحية فانت تحس به وبها يودعان بعضهما البعض يغالب كل واحد منهما الحزن هل يلتقيان بعد ذلك وهو الفتى العربي وهي الالمانية الراحلة ، هذه المشاعر الغريبة لايحسها الا عاشق صادق الاحساس فهي تريد ان تطمئن على انه لن ينساها يذكر ايامهما يذكر فرحهما يذكر عهدهما الدراسي الحبيب انها تتضاحك ولكن الدموع تغالبها والضعف يمتلك عليها مشاعرها فترتمي على صدره فتلسعه حرارة الدموع فيقول :

وتضاحكت لكن تحدّر دمعها
أذكى الأوار ففاضت العينان
لم تستطع صبرا وغالبت البكا
ثم ارتمت كالطفل في احضاني

لقد سكب الشاعر روحه في كؤوس الغرام ، ولم يجد لآلمه متنفسا الا عن طريق الحب الذي وجد فيه تغذية للقلب والعقل والروح ، ولمس فيه كل عناصر القوة والحيوية والبقاء ، فدعا بحرارة الى التنعم بمتع الحياة اللاهية الضاحكة ، وقضاء مرحلة الشباب العابث المرح في ظل العذارى الغانيات ، لان العمر لم يكن غير هنيهة من الوقت يمر كأحلام الكرى التي تداعب اجفان النائم ، فيقول :

---

(١) القى الاستاذ هلال ناجي حديثا عن الشعر القصصي لدى الشاعر من اذاعة القاهرة وقد وسعه ونشره في (شعراء معاصرون) الذى اخرجه مع الاستاذ السحرتي

تنعم اخي ما العمـــر الا هنيهـة

ومتـــع بوصل الغانيـــات شـــبابا

وواضح تماما ان أجمل قصائده الغزلية هي (غرام شهرزاد) النابعة من روح الشاعر ، والتي لم تكن في واقع الأمر الا تعبير عن ذاته الشاعرة ، وانها لتثير في النفس ألوانا من المشاعر والعواطف ، مع صحة التعبير وسلامته ، وجمال المعنى الطافح بثراء من الشـــاعرية الفياضة ، وهي كنموذج للشعر العاطفي الرقيق الذي يعبر عن الشعور الصادق المتدفق . ورهافة الاحساس الروحي ، وينطوي على أرق المشاعر الحية ، ويتشح بالعفوية والبساطة والمقدرة الفنية .

وانها تتميز برحابة الافق ، وصدق الأداء الفني ، وتمـــوج بالقوة . وتنضح بالعمق ، وتزخر بالتجربة ، وتستوعب الصـــور المبتكرة الموحية للمعاني الرائعة ، وتنم عن معاناة شعورية ضخمة ، وان الاحاسيس التي صورها خياله المجنح الوثاب ، والتي رسـمها قلمه البارع الخلاق ترفعه الى مستوى عال من الشاعرية المبـدعة ، وتعطي دليلا قويا ساطعا على ان الشعر الحق هو الذى يعبر بصدق عن حقيقة ما يضطرم في نفس صاحبه من مشاعر واحاسيس دون افتعال وزيف ، وفيها نتحسس حبا عظيما جارفا عميقا ، يهز العواطف ، ويطرب القلوب ويحرك أوتار الوجدان فيقول :

شـــهرزاد اسبل الستر الدجـــى

حدثينـــا عن جمـــال الســـور

وغـــلالات العــــذارى هفهفت

متعينـــا بشـــهي الصـــور

وصـــفي كل لقـــاء عاطـــر

لـــف الفـــين بطيب الاعصـــر

من ربوع الشـرق قصي قصـة
تفرق النجوى بدمع الوتـر

●

صوتك الرقراق نشوى هـائم
ينتشـي بالحلم العذب الجميـل
انت ضمخت الهـوى والهـة
فانتشى الوالـه من لطف الخليـل
وانا سـقت لك العتب هـوى
وشـعورا فاض بالـود النبيـل
وخيـالي الخصـب في آمالـه
يشـتهي طيف اللقـا بعد الرحيل
غيبـة طـالت على آلامنـا
وسـكوتي كان من ليلي الطـويل

●

لا تلومي شـهريارا في الهـوى
لـم يجد في حبـه من ناصـر
وارفقـي في شـاعرٍ تؤلمـه
ذكـريات ما مشـت في خاطـر
قتـلت انغـامه غـادرة
واماتت أمنيـات الشـاعر
وسـقته كأسـها طافحـة
وتلظـت بالزعـاف الغـادر
قلبـه الشـرقي ما أخضـعه
لغـرامٍ في الامـاني فاجـر

شوقك النابض لحن شارد
هز في القلب اماني رجاه

فاذكريه واعزفي ألحانه
ان في نجواه ألحان الحياه

واذا ما اهتز يوما خافق
كان يستاف بنفح من هواه

كرع الاكؤس فيضا عارما
من هموم لم يذرها لسواه

فغدت أنغامه هائمة
تملأ الدنيا أهازيج رؤاه

●

واذا مر من الشرق الشذى
دامي الآلام يزجي نشره

فهو لحن لفؤادٍ واله
ضجت الشكوى فكانت خمره

خمرة قد عتقتها غادة
وأدت في فيض هجر صبره

فهو في بغداد يستاف هوى
بددت فوق ثراها عطره

فغدا يعزف لحنا باكيا
وغدا الكون يغني شعره

وفي قصيدته « أحاسيس مهدورة » يعرب عن أنبل معاني الحب وأصدقه ، ويصور خلجات نفسه الشاعرة ، وانطلاق شعوره نحو حبيبته الفاتنة التي طغت أمانيه في الصميم ، فتركته يحترق بلهيب الهجران ، ونار الثورة النفسية تتأجج في صدره ، وتثير عواطفه ، وتهز مشاعره ، وتهيج انفعالاته ، وتحرك أحاسيسه وتعمل على تفجير القوى الكامنة فيه ، وقد عربد الشوق في جوانحه ، وجنّت صبواته وتلظى أسى من نزواته ، وتشكى من جراحات النوى ، وتمر على مخيلته أطياف النجوى ، ونعيم الحياة في ظل اللقاء ، ولكن فتاته اللعوب لم تلبث أن سقته كؤوسا مترعة بالجفاء ، فراح يملأ نغمات اوتاره بالآهات والأنين ، ويعزف احلام المنى في شجون ، وما يزال لحنها النشوان يرن في مسمعيه ، فهو ينبوع الصبا الدافق في جديب عمره الضائع ، ويناشدها بحرارة واخلاص أن تحفظ كأس الهوى فارغة ، فعسى أن يلتقي بها ذات يوم ، فانه ما انفك وفيا لذكراها ، أميناً لعهدها فيقول :

عربد الشوق وجنت صبوتي
وتلظيت أسى من نزواتي
وترامى الشوق منهار المنى
نادباً نجواه بين الأمنيات
يا هناءات فؤاد هائم
كنت في اللقيا ربيع البسمات
ان أطيافك نجوى سمري
ونعيم سال من دنيا حياتي

●

جئت أشكو من جراحات النوى
عازفاً لحني بآهات الوتر

فأملئيها غصصاً ألحانا
واعصفي في قلب صب ما غدر
واغرقي في ذوب لحن ساحر
فجريح القلب بالشوق انفجر
واختفي طيف نعيمي بالجفا
واملئي الألحان مشبوب الكدر
فغدا تعزف ألحاني السنون
وستغدو نشوة للعاشقين
انت تسقين كؤوساً من جفا
وانا استنزف اللحن الحنون
املأ الأوتار من روحي جوى
عازفاً حلم الاماني في شجون
يعبث الوهم بأطياف المنى
وسرى النغمة مذبوح الأنين

●

لحنك النشوان ينبوع الصبا
في جديب العمر لحن الشفق
باحت النجوى بحلم واله
في فؤاد بالأماني مغرق
وغدت أنغامه ضاحكة
بعد أن عاش بحزن مطبق
فاحفظي كأس الهوى فارغة
فعسى ليلاي يوماً نلتقي

●



في المجمع العلمي العراقي ١٩٦٢

ووقع الشاعر في شباك كثير من الغيد الحسان ، وسبر غورهن ، وقد قابلن اخلاصه بالعقوق ووفاءه بالخيانة ، وحبه بالغدر ، وصدقه بالنفاق والرياء ، ورمينه بسهام المكائد النافذة الى صميم القلب ، واسأن اليه أبلغ اساءة ، وهو هو العاشق ذو النفس الصافية الذي لا ينساق وراء مشاعر حاقدة ، ولا ينحدر الى حمأة الرذائل والمآثم والضغائن فيقول:

بت من غدرها كثير الهموم
فاقد الرأي والحمى كالسليم
معشر الغيد كلكن نفاق
في رياء على المدى مستديم
لا تقولي خان العهود وولى
أنت قطعت حبل ود سليم
ان من يمدح الحسان جزافا
فهو في عيشه حليف الهموم
صنت عهد الوداد والحب حتى
ذهب الحب والهوى في الجحيم
لي نفس قد هذبتها الليالي
وحصاة تشع بين النجوم
أنا لا أقرب المآثم كلا
لا ولا اشتهي ورود السموم
انا لا تذكر الخيانة في عهدي
ولا أعرف الجفا من قديم

أما حبيبته ليلى التي اغرته بالحب العذب السائغ والتي سقته من لماها عطر الهوى ، فراح يعزف ألحان الصبابة ، تلك الالحان

التي أصبحت تراتيل النساك في محراب الصلاة ، انها لم تلبث ان سخرت من أمله ، وجرحت قلبه بالاشواك الدامية ، بعد ان ملأ حياتها بالسعادة، انه يناشدها ان لا تنبش الماضي فهو لن يعود اليها ، فقد مات الحب واندثرت معالمه • فيقول :

يا ليل اني قد نسيت هواك
لا تذكري الماضي وطيب لقاك
أغريتني بالحب عذبا سائغا
وسقيتني عطر الهوى بلماك
فعزفت ألحان الصبابة هائماً
فغدت تراتيلي هوى النساك
فبدا لنا وجه الحقيقة سافراً
فسخرت من أملي الحزين الباكي
أنا قد ملأت لك الحياة سعادة
وحشوت قلبي دامي الأشواك
لا تنبشي الماضي فلست بعائد
يوماً لحب مات في دنياك

والشاعر من أدبائنا الذين يعملون على استنبات بذور المحبة والخير والفضيلة في النفوس ، ويسعون دوما الى اداء رسالة الحق والتفاؤل والحرية الى كافة أبناء الانسانية ، وقصيدته « ابسم » تتناول أهم جوانب الحياة ، وهي الدعوة الحارة للقضاء على الافكار السوداء ، والهواجس القاتمة التي تجعل من الحياة كابوساً ثقيلا يرين على صدور البشر ، فيملأها بالكآبة والوحشة والمرارة وينفث فيها سموم الضجر والتذمر والسآمة •

وهو متأثر بأفكار الشاعر الخالد ايليا أبي ماضي الذي كان زعيم هذا اللون من الشعر الرائق البديع ، والفريد في بابه ، والذي قضى الجانب الأكبر من حياته لترسيخ مفاهيمه في الأذهان ، واشاعة النور والتفتح والازدهار في القلوب ، وبث المشاعر المضيئة المتفائلة في الارواح ! فعلى الانسان الواعي ان يبتسم للصعاب متى تحل بساحته فهي ستنجلي كقطع الغيوم الدكناء ، وسيشرق الزمان بوجهه المتهلل ، ويأتيه بالرجاء المقبل لان الحياة بحد ذاتها لم تكن غير طيف عابر ، وتدعونا الى التمتع بملذاتها واطايبها ، فلنبسم ونملأ الدنيا بأغاريد الهناء والامل والاستبشار ، وندع الشكوى والنواح والبكاء جانباً ، فالعمر حلم زائل ودربنا يؤدي حتما الى الفناء ، وان صرخاتنا مهما تعالت فلن تمنع أيدي المنون ان تزهق أرواحنا !

ولتشرق في شفاهنا بسمة كبسمة الازهار في ثغر العبير ، ولنكن كالهزار الشادي تردد نغماتنا أفواه الدهور ، ولنرفرف كنجمة تموج بالعطور ، ولنغتنم فترة شبابنا فهي جنة عمرنا القصير قبل ان تخترمنا كف الموت ، الموت الذي لا مفر منه . فيقول :

وقد حدثني الشاعر بقصة هذه القصيدة : في انه كان في ليلة من ليالي لندن الشاتية وقد انقطعت عنه الوسائل المادية ولا يعرف كيف يقر قراره أيعود الى القاهرة وقد كان سجل للدكتوراه هناك ام يعود الى العراق وسوف يقابله اخوانه بالسخرية والتهكم معتقدين انه لم يقدر على الاستمرار بالدراسة وكان متجهم الوجه كالح المحيا والتفت فجأة فرأى وجهه في المرآة فهاله ما عليه من حزن وتقطيب فنظم قصيدته ومن الطريف ان أخاه الشاعر قاسم الذي يعد الدكتوراه في كامبرج مر في الدور

نفسه وبعث اليه يشكو فكتب اليه القصيدة نفسها وأرسلها اليه .

ابسم فما هذي الصعاب سوى غيوم تنجلي
وغـدا سيأتيك الزمـان بوجهه المتهلل
إبسم لك الدنيا تبسم بالرجاء المقبل
وستطرب الآمال منك جوانح المستقبل
ان الحياة قصيرة وتلذ عيشا للخلي

●

إبسم فؤادي واملأ الدنيا أغاريد الرجاء
واكـرع لذاذات الحياة فما بها غير الهناء
والعمر حلم ان يمر فدربنا نحو الفناء

●

ابسم كأنك بسمة الازهار في ثغر العبير
كن كالهزار مرتلا نغماً تردده الدهور
كن نسمة رفافة النجوى على عطر العطور
واغنم شبابك انما هو جنة العمر القصير
فغداً ستأتيك المنون ولا نجاة من المصير

●

ولم يكفه انه نحى منحى الشاعر الكبير ايليا ابي ماضي في الدعوة الى تحبيب الحياة للناس ، والاقبال عليها فحسب ، بل انه أراد أن يكون كالشاعر الكبير أبي العتاهية في طرقه موضوع الزهد ، فتوجه بكل جوارحه الى الله العظيم طالبا منه الصفح والغفران عما اقترفته يداه من الذنوب والمعاصي والمآثم ، وحسبه ما لقي في هذه الحياة من بلاء وآلام ومحن ، فهو يتطلع الى عفوه الرحب بولاء

عميق ، وليس يمنى بالخيبة المريرة ، أو يذوق عذاب السعير من بالاله اعتصم !..

أنغدو الهي وقود الجحيم
وهذي الحياة بلاء مقيم
الهي ، الهي أنت المجير
فان ذنوبي سيل غزير
وعفوك رحب عظيم الفناء
وحاشا أذوق عذاب السعير
الهي بحشد ذنوبي اليك
وذل المعاصي وحلو الرجاء
ألوذ بصدق عظيم الولاء
وما خاب من بالاله اعتصم

والشاعر يوسف عزالدين قد تشرب الفكرة الوطنية منذ صباه وفاضت بها قريحته شعرا ، وشارك بمشاعره في الكفاح البطولي من أجل استقلال الوطن وتأمينه ، وحمل لواء القضايا القومية في آفاق أرض العروبة، وعبر عن الوعي الوطني الصاعد، وهاجم الفئة الحاكمة المستبدة البائدة التي كانت تسعى لاكتناز الثروات ، واستثمار الطاقات البشرية حرصا منها على مصالحها الذاتية، ومنافعها الجشعة، وعبر باخلاص وجرأة عن الاوضاع والتطورات والحاجات والاحداث والمواقف التي تجتاح الامة العربية المجيدة في مرحلة تاريخها الجديد !

فقد كان يشارك في المناسبات القومية والوطنية بشعره في مصر او لندن فقد نظم في اكثر الثورات الوطنية والمناسبات القومية . وكان يلقي شعره في الاجتماعات الشعبية وعلى حشود الجماهير الغاضبة . وارجو ان تتاح له فرصة لجمع شعره الوطني ونشره .

وعنده الشعر تجربة فنية متماسكة تعبر تعبيرا صادقا عما يحس به من آمال وآلام وقلق، وماتعتمل في نفسه من احزان ونزوع ووجد، فلاغرو أن توقد الغربة في روحه شعلة الوطنية ، وتترك انطباعات عميقة في ذهنه ، وتحرك منه العواطف وتورثه الأسى ، فتنطلق القوى الكامنة الحبيسة فيه ، وتتفتح موهبته الشعرية الاصيلة، فينبري مصوراً عما يشعر به من ضيق نفسي ، وشقاء مرير في ديار الاغتراب ، وقد تواردت على مخيلته ذكريات تجواله على الجسر حيث عيون المها التي بهرت لب الشاعر الذائع الصيت علي بن الجهم فقال :

عيون المها بين الرصافة والجسر
جلبن الهوى من حيث أدري ولاأدري

ويتذكر لياليه المقمرة في بغداد الجميلة الخالدة ، وهو يتسامر مع أصدقائه على شاطيء دجلة الرفاف ، والبدر يطل ضاحكا من شرفة السماء فيرسل أضواءه الفضية على الامواج المتراقصة التي يدغدغها كف النسيم المضمخ بالطيوب ، وقد أضرمت في قلبه حرائق الشوق ولواعج الحنين ، وهو يدرس في لندن بعيدا عن وطنه الحبيب ،

وفي قصيدته (شوقاً الى العراق) يقول :

أحباي طال البعد بيني وبينكم
وهاجت شجون الشوق تضرم في صدري
وللبعد نيران تحرق مهجتي
وذا شوقي المضني يفتت في صبري
الا رجعة نحو العراق وأهله
فأوسعهم لثما من الخد والثغر

وتبسم أيامي وتفرج لوعتي
واترع أشواقي وأمشي على الجسر

ليالي في بغداد والبدر ضاحك
على دجلة أكرم بدجلة من نهر

الا فاذكروا صباً معنى معذباً
فلم يبق لي منكم سوى لذة الذكر

فقد كانت الايام حلواً مذاقها
وكانت ليالينا تتيه من السحر

أحن الى أهل كرام بموطني
فأرسل أشواقي انيناً من الشعر

بلادي وما أحلى هواها وسحرها
ولو انها عاشت بداجية قفر

أردت سلوا عن هواها وحبها
فثارت بي الاشواق لهابة الجمر

وقصيدته « حنين الغريب » هي الاخرى قد نظمها في لندن وهو يستشعر الغربة ، وتستولي عليه عوامل الالم والحزن والأسى ، ويحس بميل غريب جارف نحو وطنه الذي استوحى منه اناشيده وخطراته وصوره ، واغنى قصائده بكثير من لمسات الصدق الفني ، وأمده بأسباب الحياة وها هو شديد الحنين الى رؤية سعف النخيل الذي يرفرف في آفاق بلاده الرحبة ، النخيل الذي هو رمز اقتصادنا الوطني ، ومصدر ثروتنا ، وانه لم تزل عالقة بذهنه صور شواطيء دجلة الساحرات ، ولياليه الباهرات ، وهبوب النسمات اللطاف ، وتعاوده ذكرى ذلك السمر البريء المبهج فيبعث

من أعماق نفسه التحايا العاطرات الى وطنه العزيز ! وهو يكابد آلام حياته القاسية المفعمة بالقلق ، ويعاني الأزمات النفسية ويشعر بألم حاد يمزق قلبه ، وتحز في نفسه ، وتقض مضجعه ملاعب صباه التي أصبح بعيدا عنها ، وظل يعاني مثل هذا الصراع العنيف مدة من الزمن ، حتى بدأ ينفس عن خواطره الحبيسة بهذه القصيدة التي تنبع من وجدانه ، وترتوي من روحه ، وقد تبلورت المفاهيم الوطنية في ذهنه ، واستفاد تجربة حية من واقع التطورات التي أعطته صورا صادقة عن حياتنا الاجتماعية ، وما ينجم عنها من أحداث وقيم ، وركزت المعاني وبلورتها في أشعاره ، فوقع على أوتار مشاعره هذا النغم الحزين نتيجة اصطدامه بالواقع المؤلم الذي يحياه وهو يقلب نظرات حائرة دون ان تغريه مفاتن باريس ، ولا مباهج لندن ! فقد قال :

يا لندن طال الفراق وليله
يا ويح ساعات التفرق لندن
قلب على سعف النخيل مرفرف
ويهزني نحو النخيل الموطن
أشهى الاماني أن ازور مواطني
فهوى المواطن للمتيّم ديدن
حيث الشواطي الساحرات عبيرها
من ليل دجلة بالصبابة يفتن
لم أنس أياما بدجلة والهوى
طلق المحيا في الحشاشة يسكن
ما مثل صفصاف العراق ونخله
كلا فما باريس منه ولندن

والسامرون على الضفاف يشـــوقهم

وجـــــد على انغامهـــم متبـــين

رقت نســائمه اللطـــاف عشــية

والسحر في سحر الشواطيء يكمن

حييت يا وطني العـــزيز تحيــة

انا ذلك الصــب الغـــريب المؤمـــن

وهذا الرصيد الضخم من الابداع في الشاعرية لا يمنعنا من تسجيل بعض الهفوات التي مرت علينا من خلال مطالعاتنا للديوان ، فقد قال :

وارفقــي في شـــــاعر تؤلمـــــه

ذكريات ما مشت في خاطـــــر

والصحيح وارفقي بشاعر ، بدليل قوله من قصيدة اخرى :

ترفق بها عند اصطخابك غاضبـــاً

وقـــل لظلال التين عشت له الدهـــر

وقال : يارب هذي ساعة الهناء قد طاب الأجـــل

والمرء حينما يكون في ساعة الهناء لايطلب الموت ، وانما ينشد الاستزادة من ذلك الهناء وقال :

فودعتني بعد يأس اللقـــا وعينها تهتف بي يا غبي

وأنا لا أرضى له أن يصف نفسه بالغباوة ، وهـــو الـــكاتب اللامـــع والشاعر الملهم الذي أحرز شهادة الدكتـــوراه في الادب وكـــان في ســـن مبـــكرة ، وان الغبـــي لا يســـتطيع ان يؤلف كتبا قيمة من أمثال « الشعر العراقي في القرن التاسع عشـر » و « الشعر العراقي الحديث وأثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه » وثلاثة دواوين شعرية هي « في ضمير الزمـــن » و « الحـــان »

« لهاث الحياة » وكم هو جميل به لو قال :

فودعتني بعـــد يأس اللقــــــا

وعينهـــا تهتـــف بي يا ابـــي

وقال :

وغذي فؤادي بحلو المنى فقد ألهبتني سـهام المقل

والسهام لا تلهب وانما تدمي

وهذه المآخذ لا تنقص من قيمة الديوان الذي يسمو به الذوق، وتنتعش له الروح ، وترتاح اليه النفس ، ويبعث بالسحر في نفوس القــراء !

انه زاخر بجمال الشكل ، وفنية التعبير ، والدقة في انتقــاء الألفاظ . ومشحون باثارة العواطف والأحاسيس ، والخــوض في القضايا الوطنية ، والتعبير بمضمونه عن حياة الناس ومشاكلهم تعبيرا عفوياً صادقاً مؤثراً وتسوده التعابير الموحية ، ويغلب عليه في بعض الاحيان الطابع الرمزي ، ويوحي بجهد دائب للتطور ، وتتمرس أشعاره بقيم جمالية جديدة ، وعبارة مشرقة ، وصياغة فنيــة ، وامكانيات تعبيرية ، حافلة بتلاحم المشاعر والافكار ، وبالقيم الزخرفية الجمالية !

وأخيرا ولا آخرا ، ان « لهاث الحياة » سيلقي اهتماما بالغا من النقاد المنصفين لما يحتويه من قيم واصالة وطرافة ، وما يحمله مــن خصائص عاطفية لا حصر لها ، ولتعبيره الصادق عن تجارب انسانية وحرصه على صدق التعبير عن الحياة ، وتوسيعه لنطاق المضــمون الاجتماعي ، وتعميق مفاهيمه ، ولتجديده في التعبير الفني ، ولحمله الكلمة معانيها الحقيقية ، واثارته الاحاسيس الملتهبة لدى الجماهير ، ولصوره الشعرية الحية التي تعطي تجسيدا لواقع الشاعر الذي عاشه ، ولاتجاهه الى التعبير الواقعي المستنير !

مكانة الشاعر

بين الشعراء العرب

- ٤ -

لا يخفى على القارىء الكريم في أن الشاعر المجيد هو الـذي يرسم لنا عواطفه وأحاسيسه ، ونرى شخصيته بارزة متحركة في كل شعره ، فنلمح في صفائه رقة الماء ، وعذوبة الهواء ، وفي عنفه ثورة العاصفة ، وهوج الرياح ، فلا يمكننا الا التحسس بملامح شخصيته، وخاصة في الشعر الغنائي الذي هو أصفى مرآة للنفس ، وأصـدق صورة للعاطفة ..!

والدكتور يوسف عزالدين من هؤلاء الذين لا يفوتك الشعور بتأثير شخصيته في شعره ، رغم تباين الزمن واختلاف الثقـافة بين ديوانه الاول وديوانه الاخير .!

والسؤال الملح الذى يرتسم على الشفاه دوما ، هو اين موضع هذا الشاعر بين شعراء العرب ، ولست أريد التحدث عن موضعه من الشعر العربي المعاصر ، لانه في شعره ينزع منزع الاصالة وقـوة النسج ، ودقة المعاني ، مما لا نجد له مثيلا الا بين الشعراء العـرب القدامى ، من أمثال عمر بن ابي ربيعة ، وجميل بثينة ، والعباس بن الاحنف ..!

هل أضعه بين شعراء الغزل القديم ، الغزل الذي لا يقصد منه

التغـــزل بالحبيبة ، وانما كـــــان ســـبيلا من الســـبل التي يسلـــــكها الشـــاعر للولوج الى المـــديح والوصف ، كما نجده عند جرير والراعي وابي نؤاس ، ام اضعه مع الشـعراء الماديين الذين يتخذون الشعر لذاته ، ومن هؤلاء عمر بن ابي ربيعة والعباس بن الاحنف ، ام أضعه مع العذريين الذين تغنوا في شعرهم بالحب العفيف اعنيف ، مثل قيس بن ذريح ، وجميل بثينة ونصيب.

ولا اكتم القارىء انني قد ترددت كثيرا في رفعه الى مصـاف واحد من هؤلاء الشعراء ، لاني وجدت شعره يختلف اختلافا ظاهرا واضحا بين كل مجموعة شعرية واخرى أخرجها الى عالم النور .. ففي كل ديوان من دواوينه اختلاف جديد في التيارات الفــكرية والمضامين الادبية ، وان حافظ على الاصالة والشخصية .. فقـــد اختلف هذا الشعر باختلاف البيئة .. فهو قد جمع في (لهاث الحياة) و (الحان) طائفة من شعره تمثل بيئات متباينة ، وحياة مختلفة .. ولكننا نجده في (ضمير الزمن) وحدة كاملة متناسقة ..!

فقد نظم مجموعته الاولى (في ضمير الزمن) كلها في ربوع مصر أيام كان يتلقى العلم في جامعة الاسكندرية ، ونشر أغلبها في الصحف المصرية خلال تلك المرحلة من حياته الجامعية .. وكانت له جذوره العاطفية القديمة .. ففيها بساطة وسذاجة ، وفيهـــا اخلاص ووفاء.. فقد غادر الشاعر مدينته (بعقوبة) ذات المحيط الضيق المحدود ميمماً شطر مصر ، مصر العربية التي تظللها آفاق واسعة من العلم والمعرفة والتطور سواء في الحياة الجامعية أم في حياة المجتمـع الصاخب الهادر ..!

وعلى الرغم من اندماجه في كيان هذه الحياة الجديدة ، فلم

تفارقه الطيبة والنبل والوفاء •• فقد ظل غزله عفيفا وعذريا وصادقا •• وبذلك فقد مثَّل الطالب الجامعي المجد الدؤوب خير تمثيل •• وكان مثلا رائعا في دماثة الخلق ، وحسن السيرة ، وحدة الذكاء •• اذ كما يبدو من شعره ، ومن حياته الجامعية ، انه كان موفقا كل التوفيق في دراسته ، فقد حاز على درجة متقدمة بين اخوانه طلاب العلم والمعرفة ••

وكان انموذجا فذا للطالب الاجتماعي الذى يسهم في حفلات الكلية ، وندواتها الخطابية • ويمثلها في الاحتفالات الكبيرة الاخرى التي كانت تقام خارج نطاق الكلية ، لاعتمادها عليه ، وثقتهـــا بشخصيته الجذابة المحببة••فقدمثلها فيوضع الحجر الاساسى للجامعة، وفي حفلة تخرج الطلاب ، والاحتفاء بوفد كلية الاداب القادم من دمشق ، وكان يظن كل من يشاهده على انه مواطن مصري ، لان لهجته كانت لا تختلف عن لهجة أي فرد اسكندري •

لقد نظر الى الشـــعر نظرة سامية رفيعة ومارسه على انــه أسمى ألوان الفنون فقد قال في مقدمة ديوانه (في ضمير الزمن) يعرف الشعر ورسالته (والشعر عقل وعاطفة ، فقد خلقنا مزودين بالتفكير الذى يجب ان يرفعنا الى مستوى عال عن الحيوان ، وخاصة اذا زود هذا العقل بالثقافة ، ومرن تمرينا صحيحا ، واستوعب ما مر به من علم ومن تجربة) •

وقد كرر هذا المعنى في مقدمة (الحان) فقال (الشعر حيوية فياضة ، تدفق زاخرة ، وتعتلج في أحاسيس الانسان ، ولابد لهذا الفيض العارم أن يظهر على دفقات شعرية لتصور أحاسيسه النفسية التي اختفت في اللاشعور ••!

ورغبة النظم خاصة ، والانتاج عامة تذهل الشاعر في انصبابها ، فلا يفيق الا بعد ان يرتفع الى سماوات عذبة من الخيال ، ارتادهـا هائماً ، وتمتع بنشوة روحية حبيبة ، ولذة ذهنية سامية)

وفي السيطرة الروحية التي يراها شيئا مهما في حياة الشاعر عاد يقول في مقـدمة ديوانه (في ضمير الزمن) (ومتى استشعر الانسان اللذة الروحية الجميلة التي يشعر بها التفكير المرن المتزن، كان شعره وانتاجه انتاج مفتن) •

ويهاجم الماديين الذين ينتجون للحياة المادية ولا يؤمنـون بالبراءة والكرامة والعفة ، ولا يسمون الى آفاق الخيـال والحب الروحي بقوله (والتفكير المرن والحياة الروحية السامية تعرف ما لا تعرفه العاطفة الحيوانية ، والغريزة البدائية ، فالارتياح للنغم الشجي، والسير بين المروج ، والشعور بنشوة حبيبة عندما يداعب اريجهـا الندي الوجه ، والهزة التي ترنح أعطـاف المرء للمنظر الجميل ، والرغبة لمداعبة الحيوان الأليف ، وما يبعثه البحر من روعة فيالنفس، كل هذه حاجات روحية لا يحس بها الماديون الذين لا يعترفـون بالبراءة والعفة) •

وفي هذه الفترة من حياته نجد في شعره الاخلاص الاكيـد ، والوفاء العميق ، والحزن الدفين ، والشعور بالمرارة ••• وتضطرم فيه نيران الأنات والالتياع والحسرة ، وترين عليه سحب الظـلام الكثيف ، والعذاب الدائم ، والنشيج الاليم ، والوجدالجريح،والهوى المشبوب ••• وسوانح الفكر المحطم ، واختلاجات القلب العاشـق القلق الذى لا يرضى الا بالبسمة الراضية ، والحنان الدافق ، والرضا السعيد ، والصدر الحنون ، والرفق الناعم ، والحب الباسم ••• هذه

المتناقضات هي صورة صادقة حية لحياته في بعقوبة البلدة التي لم يستطع الشاعر وهو يضطرب فيها أن يتغلب على همومه وأحزانه ، ويحقق بعض أحلامه الرفاق •• ومرد ذلك هو ضيق افق المحيط الذي كان يعيش فيه •• وسيطرة التقاليد الموروثة على نفوس أبنائه •

انه لا يجنح في غزله الا الى الحنان والابتسامة والهدوء • وهي ثالوث تعشقها الشاعر وكانت الطابع الاصيل الذى اتسم به شعره ••!

ولعل عدم ظفره بالوقت الذى ينصرف فيه الى اللهو ، وعمق شعوره بالمسؤولية المبكرة الملقاة على عاتقه في اعالة اسرة وفيرة العدد ، جعله يتنكب عن الاستمتاع بملذات الشباب ولهوهم ، في مدينته بعقوبة ذات البساتين الخضراء الملأى بأشجار البرتقال والغارقة بأفياء النخيل ، وقد حافظ على هذه القيم الرفيعة حتى في شعره وهو يعيش في المجتمع المصري ذي الاجواء المنطلقة الرحبة •

لقد كانت نفسه الحالمة تطفح بالشوق اللاهف الى الجمال الهادىء ، والابتسامة الرقيقة ، والحنان الدافىء •• وتسعى بطموح شامخ عال الى اكمال الدراسة ، ويمتلكها في بعض الاحيان الخوف من العودة الى أرض الوطن وهي تجر اذيال الفشل الذريع ، والخيبة المريرة •

ونجد مصداق هذا القول في شعره الذى نظمه في بعقوبة ، والذي ضمت جزء منه مجموعتاه (الحان) و (لهاث الحياة) فهو يرغب في حرارة لاهبة أن تكون حركات الفتيات حلوة رشيقة ، ولكنها لاتخرج عن حدود الوقار والحشمة والاتزان ، ويحاول ان ينظر اليها كما ينظر العابد للاله ، ولا يرمي من وراء ذلك جزاء ولا شكورا ••!

لقد بقي قويا ثابتا لم تلن له قناة في مقاومة اهواء نفسه ، وجموح

عواطفه ، وصراع مشاعره •• حتى عندما ذهب الى لندن ودعي الى المقصف ، حيث ترك الغادة الشقراء التي رغبت في قضاء وقت ممتع معه •• فمضت عنه بعد محاولات يائسة في اقناعه ولسان حالها يهتف (يا غبي) ألا تفهم ، ألا يسحر قلبك جمالي الخلاب ، ألا تلهب احساسك فتنتي الطاغية ••!

ان شعره الذى نظمه في بعقوبة ومصر يسمو به الى الوقوف على قدم المساواة مع اشهر شعراء الغزل العذريين من أمثال جميل بثينة ، وكثير عزة ، والمجنون •••!

ولكن الحياة الثقافية العامة ، واتساع افق المدارك الذى اكتسبه في سياحاته في أوربا وافريقيا وآسيا قد أمده بنسغ تجارب شعورية عميقة • ففاق الشاعر الكبير (العباس بن الاحنف) في كثير من نواحي حياته وشعره ••

والذى حفزني الى مقارنته بالشاعر العباس بن الاحنف لان عصره لا يقل ازدهارا وتقدما عن العصر الذى نعيش فيه الان من حيث الترف العقلي ، والتفتح الذهني ، والتطور الحضاري ••!

فالشاعر يوسف عزالدين أعمق اخلاصاً ، واصدق عاطفة ، وأدق تعبيرا ، واغزر معنى من العباس بن الاحنف الذى كان عصره يموج بأسراب الجواري الحسان ، والغواني الفاتنات ••!

ولا حاجة بي الى ضرب الامثلة •• ولكن المقارنة بين النماذج الرائعة للشاعرين تعطينا صورة صادقة حقيقية لكل منهما •• فهو قد تفوق على العباس بن الاحنف في كثير من المعاني البديعة • والمفاهيم الفكرية •• وقد صور حرارة العاطفة ، وروعة التصوير ، دون تكلف ولا اسراف في المبالغة ••! وانه أصفى ديباجة ، وأعمق

شعورا منه •• وأوسع ثقافة من شعراء الصدر الاسلامي ••

ونلمح في شعره الذى نظمه في العراق ظاهرة بينة ، هي أثر الخلق العربي النبيل الذي يدعو دوما الى رفع مكانة المرأة في المجتمع • وهو يشكو اليها ويستعطفها ويزهو بالالم الممض الذى ينتابه من أجلهـــا ••

ولما أتاحت له الظروف العيش ردحا من الزمن في أوربا لم يلبث الا وقد تغيرت نظرته الى الحياة ، واصبح أكثر التصاقا بالواقع •• وصار شعره يتصف بالواقعية ••!

وحينما كان في وطنه العراق العزيز وصف لنا الشباب العربي الذي تجتاحه عواصف الشكوك والالم والحيرة • ولما ذهب الى لندن طفق يرسم لنا بريشة الفنان المبدع انطلاقة الفتاة الاوربية ، وملاحقتها له ، وغضبها عليه ، اذ وجدت فيــه الشاب الشــرقي الذي تستحوذ عليــه روح الحيـــاء والخجل والانطوائيـــــة • وعكس لنا التصورات الغريبة التي علقت بذهنها ، من صور ألف ليلة وليلة حيث الجواري الساحرات اللواتي يسعدن سيدهن تحت الخيام بالغناء والرقص والقبل • في حين راح القمر يسكب أنواره الفضية على وجه الرمال السمراء ••!

واخيرا ••• فهذه دراسات أدبية كنت قد نشرت بعض فصولها في مجلتى (العرفان) و (المعارف) الصادرتين في لبنان ، وفيها تناولت بالعرض والتحليل جانبا من جوانب شخصية وشعر الدكتور يوسف عزالدين ، أرجو ان تكون حافزا لنقاد الادب العرب المعاصرين في دراسة نواحيه الاخرى الجديرة بالنقد الموضوعي المعمق الشامل ••!

عتاب الى ادباء القاهرة

- ٥ -

لقد لاحظت وانا استقصي ما كتب عن الدكتـــور يوسف عزالدين ، ان العديد من حملة الاقلام ، واعلام الفكر في البــلاد العربية قد افاضوا في الكتابة عن انتاجه النثري او الشعري .. كأدباء المغرب وتونس ولبنان والحجاز والكويت .. وأما في مصر فلم ينبر لتحليل انتاجه الادبي سوى الاستاذين الفاضلين صديق شيبوب ، وفوزي عبدالقادر الميلادي وهما من مدينة الاســكندرية .. واما أقطاب الادب في القاهرة فقد التزموا جانب الصمت ، ولاذوا بأذيال السكوت ، ولم نقرأ سوى الكلمتين المقتضبتين المتناقضتين اللتين كتبهما الاديبان صالح جودة ، والدكتورة عائشة عبدالرحمن ..

فالاستاذ صالح جودة يرى الشاعر مجددا في الكثير من شعره ، في حين قالت عنه الدكتورة عائشة عبدالرحمن انه يواصل السير في طريق القدامى ، ويقتفي أثرهم ، ويتابع خطاهم ، دون ان يتمرد على الانماط التعبيرية البالية ، والاشكال اللفظية العقيمة ..!

ويؤسفني أشد الأسف أن أرى نفسي مسوقا الى القول ، بأن أدباء القاهرة لا يحتفون الا بنتاجهم الادبي ، ولا يبدون أقل اكتراث لآثار الاديب العراقي . وان كانت على درجة كبيرة من الالمعيــة والنضوج والروعة ..

ان هذه النظرة الضيقة . والبادرة المؤلمة طالما اثارتا في نفوسنا نحن الادباء العراقيين الالم المرير ، والاسى العميق ، والشجن البالغ !

لقد تغنى الدكتور يوسف عزالدين في العديد من قصائده الرائعة بكفاح الشعب العربي في مصر ضد الاستعمار البغيض ، وعملائه الخونة المأجورين ، وأشاد ببطولاته الخلاقة ، وتضحياته السخية من أجل تحقيق الوحدة العربية الشاملة ، وترسيخ كيانها ، وتوطيد أركانها ، وجعلها حقيقة واقعية ملموسة ، كما انه سحرته مناظر الطبيعة الجميلة في مصر ، ففاض الشعر على لسانه واصفاً كل ما وقعت عليه أنظاره من الشواطىء الغين ، والخمائل الفيح ، والهضاب الخضر ، والروابي الزاهية ، ووقف على نهر النيل العظيم مستغرقاً في تأملاته ، ومستلهماً الآيات الخوالد منه ، حيث قامت على ضفافه أضخم الحضارات البشرية التي لعبت دوراً مهماً في تقدم الفكر الانساني ..!

وطالما استوحى الشاعر من روعة هذا النهر الخالد قصائده الوجدانية الرائعة ، وهو يترنم بأمجاد الشعب العربي في مصر ، تلك الامجاد التي أدهشت العقول ، وخلبت النفوس ، فخلدتها الاجيال ولم تنل من جدتها حوادث الايام ..! وأسهب في الاطراء على مجهودات الادباء المصريين الجبارة في ميادين العلم والادب والفن ، وما قدموه من خدمات نافعة لاحياء التراث الفكري العربي ، وتنشيط الحياة الادبية وتطويرها وما طبعوه من مخطوطات نفيسة نادرة ، ووضعها في متناول أيدي القراء ، بعد أن كانت مهددة بالنسيان والضياع والتلف ...!

ولاعطاء القارىء الكريم ، الدليل الساطع على حب الشاعر

يوسف عزالدين للمفكرين المصريين الاحرار واعجابه بهم، وتقديره لهم ، فقد جاء في مقدمة كتابه (الشعر العراقي أهدافه وخصائصه في القرن التاسع عشر) قوله (ولا يسعني الا شكر اولئك الذين تفضلوا بمساعدتي وافسحوا لي مجال الدراسة والبحث فأولهم صاحب الفكرة في هذا البحث استاذي الجليل محمد خلف الله احمد والدكتور محمد حسين ، والدكتور طه الحاجري ..

وفي اهداء كتابه (الشعر العراقي الحديث واثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه) قال (الى استاذي العلامة محمد خلف الله أحمد ، هدية اكبار واعتراف بجميل الفضل وسداد التوجيه) كما قال في مقدمة الكتاب نفسه ما نصه (وقد كانت التفاتة كريمة من استاذي العلامة محمد خلف الله أحمد عندما اصطفاني طالبا لاكمال الماجستير تحت اشرافه وهو الشاعر الرقيق ، والذواقة المرهف الاحساس ، واقترح على ان اكتب عن (الشعر العراقي في القرن التاسع عشر) فسرت في هديه ، وتحت دريته ، ووفقت بما بذله لي من عون لاينسى ، وتوجيه لا يبلى) .

وفي اهداء كتابه (التيارات الادبية في العراق ، والزهاوي الشاعر القلق) قال (الى الاخ الاستاذ محمد عبدالمنعم خفاجي وأعضاء رابطة الادب الحديث ـ في القاهرة ، اذ لولاهم لما خرجت هذه المحاضرة الى الوجود) .

ان هؤلاء الادباء الافذاذ الذين تطرق الدكتور يوسف عزالدين الى ذكرهم العاطر ، في كتبه القيمة وأخلص لهم الود ، ومحضهم الحب ، وأثنى على أعمالهم الادبية المتواصلة ، وجهادهم المرير في كل مناحي الحياة .. لم يقابلوا هذا الوفاء الصادق الا بالاعراض

والنكران والسكوت ..! ولم يبادلوا اخلاصه العميق الا بالاهمال والتغاضي والصمت ..! حيث لم يجشموا أنفسهم عناء البحث في مؤلفاته الثمينة ، للكشف عما في طواياها من آراء سديدة ، وافكار جديدة في الشعر .. وما أضافه للادب العربي المعاصر من كنوز الفكر ، وروائع الشعر ، وبدائع المناقشات المنطقية البناءة وابداء رأيهم الصريح الواضح في تثمين شاعريته الاصيلة ، اعطاء أحكام تقييمية جريئة لكل ما ألف من دراسات أدبية ، وما جاشت به قريحته الدفاقة من شعر .. ورفعه الى المكان السامي اللائق به بين ادباء العرب المعاصرين .. فقد كفاه ما لحق به من تعسف وظلم وغبن في جميع مراحل حياته الادبية ..!

ومن غير شك ... ان العناية بنتاج المؤلف والاهتمام به شيء مهم بالنسبة لانعاش النشاط الادبي .. وان التشجيع الكبير الذي يقابل به الاديب الرهيف الاحساس ، والرقيق الشعور يدفعه الى المزيد من بذل المساعي والجهود والعمل الى الانتاج الفكري الواعي الرصين الذي يخدم به جيلنا القلق الحائر ، وينير السبيل السوي لامتنا العربية المجيدة المتطلعة الى حياة أرغد .. وعالم أسمى ..!

ان الادباء المصريين مدعوون اليوم أكثر من أي وقت مضى الى الاحتفاء بالنتاج الفكري العراقي ووضعه موضع الدراسة والنقاش والبحث ... وتقييمه التقييم الذي يستحقه ..! فقد كان النقد العلمي النزيه وما زال الحافز القوي على دفع الاديب الى التأليف والانتاج والتتبع المتزايد ..! وارخاص الغالي والنفيس في سبيل دعم النشاط الادبي وازدهاره ..

ان ادباء العرب في العراق ومصر أصبحوا اليوم في ذروة التقارب

الروحي ، والتعاون الادبي ، والاتصال الوثيق ، سيما بعد انفجار الثورة الشعبية التقدمية صبيحة الرابع عشر من رمضان المبارك وقيام الوحدة الراسخة المتينة بين العراق ومصر وسوريا •• والتي أصبحت الركيزة الثابتة العتيدة للوحدة العربية الكبرى ••

ان الامل يحدونا ••• في ان رجال الفكر في مصر العربية سوف يولون انتاج الاديب العراقي العناية الفائقة الكبيرة ، ويتدارسونه على ضوء المقاييس النقدية الحديثة ، ويمنحونه حقه من الاكبار والاجلال والرعاية •• ويسعون الى نشره وذيوعه في الاوساط الفكرية والمحافل الادبية ••! وهم بذلك يؤدون رسالة قومية عظيمة الاهمية الى جميع أبناء الانسانية ، ويقدمون خدمة جليلة الاثر الى الامة العربية المجاهدة •• التي انطلقت من سجنها الاستعماري الرهيب ، وتدفق تيارها القومي الصاعد جارفا كل ما في طريقه من الحواجز والسدود وكاسحا في زحفه المقدس الجبار كل العوائق والعقبات ليحقق حلم الملايين العرب في الوحدة والحرية الاشتراكية ••

حسناء من ابردين

ان أيامي الحبيبة كانت — لذة الحب في هوى مفتون
يوم كانت بعاتقي تتدلى — بدلال وغبطة وجنون
غضت الطرف ثم قالت : حبيبي — يا منى النفس يا حنين الحنين
أنت في الحلم والحياة سميري — وامان لقلبي المجنون
وأرى طيفك الحبيب يغني — كل يوم بساحرات اللحون
أنا أهوى بلادك السحر فيها — يتجلى بقلبي الولهان
والعذارى يمسن في ضحكة البدر — ويخطرن من هوى الندمان
يا حبيبي خذني اليها فاني — سوف أشدو بأعذب الالحان
وسأغدو على الرمال كثيبا — تتغنى به شفاه الاماني
ضمني للحريم سلطان قلبي — لست أخشى بالشرق سجن الحريم
أو لسنا مع النجوم سكارى — وأنا في ركاب خدن كريم
يا حبيبي الى صحاراك خذني — ثم ذرني وحيدة للنجوم
سوف أشدو للشرق أجمل لحن — عبقري الروى والتهويم

قلت :

يا منية الفؤاد الهائم — وجدا بلاعج الاشجان
وأنا فيك مغرم مستهام — قد تبارى في ساحة الاحزان
فاذا ساعد من السحر بض — يحتويني وعربدت شفتان

لندن حزيران ١٩٥٥

هذه القصائد ترجمها الى اللغة الانكليزية الاستاذ عبدالستار فوزي مدرس الترجمة في معهد اللغات التابع لجامعة بغداد .

الـــزا

كم قبلـــة رتلتهـــا على الشـــفاه الســـاحرة
أنغـــامها تجاوبت صـــدى الاماني الثـــائرة
وأنت فوق ســـاعدي حيرى •• وكنت ســـادرة
في لجة الحب الـــذي لا تنشـــدين آخـره

ما أنت الا نشـــوة العطر ولحن الهـــائم
ذوبتني في عاطـــر الشـــوق الرقيق النـــاعم
يا نسمة الالحـــان في قلب المشـــوق الحالم
أخرسني الحب وكم تحت ســـكوت الواجم !••

حلاوة قـــد ملأت عمري بمعطـــار القبـــل
ونشـــوة العمر الحبيب بين أحـــلام الغـــزل
أسكرتني بالوصـــل والحب وأنغـــام الأمل
يا رب هذي ساعة الهنـــاء قد طـــاب الأجـل

لندن شباط ١٩٥٦

سكسونية

يا رواء الربيع يا ضحكة العمر يا رائعـــات الاغاني
يا جمال الحيـــاة
يا بســمة الحلم
في شــفاه الاماني
الجمال النشــوان يختـــال في نهديك كاختيـــال الغواني
بك قـــد باهت الحيـــاة وغنت بهـــائم الالحـــان
وجهك المشــرق المنــير تراتيـــل راهب في الصـــلاة
أين منــك الحـــور الحســـان فأنت ملء الحيـــاة
هذه النســمة الشـــذية هامت بدافيء النســـمات
وتمنت هيمانـــة العطـــر ســـكرى
أنفاســـك العطـــرات

زاهيـة من هامبورغ

لم تبـــق غير الذكريات وطيبهــــــا
ومــــرار الآلام والحرمـــــــان
يا قلب ويحك كـــل يـــوم واجف
نضبت قـــواك وأنت بعـــدك حاني
في كل يوم لوعـــــة مهراقــــة
قـــد حطمتـــك لواعـــج الازمان
يا ويـــح قلبي ما يتوب عن الهـــوى
قد أســـكرته مفـــاتن الغـــزلان
أيام وصـــل من عبـــير حيـــاتنا
سقيت ففـــاضت من هنـــا الهيمان
كم ليلـــة غنت ســـعادة حبنـــا
طرباً بســـحر الصـــوت والالحان
ثملا بكـــوثر ثغـــرها متنعما
خمري لمى والـــكأس لي شـــفتان
حوريـــة عـــذب لـــدى حديثهـــا
تجلو بحلو حديثهـــا أحـــزاني
كانت تســـاقيني الســـعادة والهنـــا
مرحا وتمـــلأ مهجتي بحنـــــان
خطـرت فألهبت الحيـــاة محاســـنا
وتمايلت غصـــنا من الاغصـــان
وجـه تهـــز القلب فيـــه مفـاتن
تسبي القلوب بحسنها الفتـــان
وكأنما الـــذهب المصـــفى شـعرها

قــد ماس في مرح وفي ريعـان
جلت الحيـاة مفاتنا في حسنها
وشـي الالـه بحسنها أغـواني ؟
ما كنت أدري ان يـوم فراقهـا
يذكـي أوار الحب ملء كيـاني
وتنهـدت ألما فقلت لهـا : كفى
فالـدمع في عينيـك قد أضـناني
فتبسمت ودموعهـا في خـدها
تجري كـدر سـال فـوق جمان
قالت :
أتذكـر عهـدنا أحبب بـه
عهـدا قضـيناه بلا سـلوان
وتضاحكت لـكن تحدر دمعهـا
أذكي الاوار ففـاضت العينـان
لم تسـتطع صبرا وغالبت البـكا
ثم ارتمت كالطفـل في أحضـاني
فاضت مدامعهـا على صـدري فما
أحسست غـير ذوائب النـيران
ربـاه ! بالخـير العميـم مودعي
حبب لـه هجري عسى ينسـاني
ما بال ذيـاك القطـار يئن مـن
ألمـي ويزفـر زفـرة الهيمان
قف يا قطـار ولا تسـر بحشاشتي
وارفـق بلهفـة مدنف ولهـان

لندن ٢٤-٣-١٩٥٦

— I —

When she sighed in pain,
"Enough" I uttered !
"Tears in your eyes consume my heart".
Her tears on her cheeks were like pearls on a mirror.
Then she said " Do you remember our happy days,
How nice they were !
" They can not be covered
With forgetfulness."
And when she smiled through her tears,
My eyes flooded with tears also.
She stopped her weeping,
And fell, like a child, on my knees.
I felt then a fire in my burning chest.
O' God may my Lord
Surround my love with happiness,
And give her courage to forget me !

◉

At the leave taking, the train sighed deeply at my agonies,
And breathed out with lovers' breath !
O' train stop ! Do not carry my soul away.
Be gentle with your precious one on board.

A Coquette From Hamburg

Oh for the rememberance of those glorious times.
The bittersweet of separation and agonies,
Troubles my passionate heart with grief and fears.
O' heart you are still in love,
Though exhausted and subdued by dark hours.
Woe to my heart ! You do not repent your love !
You are intoxicated by the smart gazelles.
O' for the days of our union!
They were flooded with joy and love.
How many a night, the happiness
Of our love sang the magic chants !
And drank with the wine from her mouth,
And her lips were but my cups.
O' love ! your sweet
Conversation clears away my sorrows,
And supplies my soul with tendness.
When she passed by, she inflamed life with beauty,
And went swinging like a branch.
Her beautiful features attract eyes,
And captivate hearts.
She has hair like pure gold,
Mixed with gaity and tenderness.
I surrendered to her beauty !
When God made her so attractive.
I was not aware that her day of departure,
Will set my heart on fire.

— G —

The Saxon Beauty

O Freshness of springtime, O smile of the age,
O splendour of songs.
O beauty of life, O happiness of dreams on hopeful lips.
The pride of beauty struts in your breast, as a beauty full of vanity
Life boasts of you, and sings Wanderful songs.
Your face radiates brightness like the recited prayers of a pious man.
"Houris" in Paradise are far below you. You are but life in its majesty.
The fragrant zephyr bewilders the warm breezes,
And hopes earnestly to mix
With your warm breath.

— F —

ILSA

How many kisses I have bestowed on your magic lips,
Their tunes are still the echo of strong desires.
You were in my arms, amazed and wandering,
In deep oceans of love, seeking no end.
You are a scented elation and a rover's song,
You have melted me in your fine spirit,
O breeze of songs, filled with strong desires.
Your love kept me silent,
And not much is gained from a speechless one.
You are the sweetness which filled my life with scent of kisses,
And the energy of my love dreams.
When you are with me, I am drunk with happiness and love.
O God, this is a moment of pleasure,
It is agreeable enough to end my life.

And amazed with the stars!
I shall sing to the East my tuneful songs.
Inspired with beauty of rhymes.
You are my hopes ! I said to her,
O my hearts' hopes, confused with joys and sorrows.
Am very much in love with you,
When my heart is longing to escape.
At that instant, a fresh white arm of magic,
Enfolded me and lips were entangled.

Mr. Abd al Sattar Fawzi translated representative excerpts from the poet's works. Some of these appear in this book. Mr. Fawzi is a Lecturer in the Institute of Languages, University of Baghdad.

A Beauty From Aberdeen

My well remembered days were, verily,
The delight of love in a fascinating charm.
When she was hanging on my shoulders,
With her affection, bliss and bewilderment.
Then she cast down her eyes and said:
O'darling you are the delight of my soul,
And the object of my yearnings.
You are my companion when I dream or hope.
You keep peace in my restless heart,
Every day I see your beloved shadow,
Coming to me with a magic light.
I love your native land full of magic.
Revealed to my perplexed heart.
Shall I come with you and meet the virgin moved with laughter ?

And companions swaying with love ?
O'sweetheart ! take me there.
I really will utter my sweetest songs.
There I shall be like a hill,
Which will be remembered by hoping lips.
And if you include me in your harem,
My love to you defeats my fears.
There, I shall be the companion of your friends,

4. *Positions held*:
    a. Professor of Arabic, Baghdad University, Baghdad, Iraq.
    b. Secretary of Writers and Authors Association, Baghdad, Iraq.
    c. Assistant Dean, College of Arts, Baghdad University, Baghdad, Iraq.
    d. Secretary and Acting President of Iraq Academy, Baghdad, Iraq.

5. *Sample contributions*:
    1. Poetry:
        a. *In The Conscience of Time*, Egypt, 1950.
        b. *Ballads*, Egypt, 1953.
        c. *Sighs of Life*, Beirut, 1960.
    2. Books:
        a. *Arabic Poetry in Iraq in the Nineteenth Century*, Baghdad, 1958.
        b. *Modern Iraqi Poetry*, Baghdad, 1960.
        c. *Poetry and Iraqi Society*, 1900 - 1945, Baghdad, 1962.
        d. *Al Akhras' Poetry*, (manuscript edited), Baghdad, 1963.
    3. Research Works:
        a. *Dawud Pasha, the Last Days of the Mamluks in Iraq*, Baghdad, 1957.
        b. *Studies in Arabic Literature*:
            I. *Literary Trends in Iraq*,
            II. *Al Zahawi, the Restless Poet*, Baghdad, 1962.

the greatest influence on the poet. Love, in particular, was his ever present central theme. Women fascinated him. He loved them and they moved him to write some of his most tender stanzas. Love was the door through which the poet's giftedness made its debut.

Dr. Izzel Din's poetry is the embodiment of his thoughts, dreams and memories. It does not only show the effect of poetry on life, but it is, in itself, a reflection of life. Dr. Izzel Din, the poet, can not be separated from Dr. Izzel Din, the contemplator, the psychologist.

Finally one must not forget Dr. Izzel Din's political awareness. Instead of an ivory tower of seclusion, he has chosen the rough road of political action, the same that many of his Arab contemporaries have travelled. A great deal of his poetry denounces the adverse political conditions & calls for a better way of life, a society where law, freedom and democracy are supreme.

A Brief Biographical Note About The Poet

1. *Place of birth*:

   Baquba, Iraq.

2. *Early Education*:

   Baquba Primary and Secondary schools.
   Teachers' Training College, Baghdad.

3. *Higher Education*:

   a. B.A., Faculty of Arts, Alexandria University, Alexandria, Egypt.
   b. M.A., Faculty of Arts, Alexandria University, Alexandria, Egypt.
   c. Ph.D., London University, London, England.

— A —

AN INTRODUCTORY NOTE

Dr. Elia Zughaib

It is rare indeed, not only among the contemporary Arab poets, but also among poets in general, to find such a versatile and gifted poet as Dr. Youssif Izzel Din. Apart from his tender gift of poetry, he is a well known author, a beloved teacher, a recognized advocate of social and political reform, and a capable administrator. He is neither limited nor narrow, but rather concerned with all the aspects of life.

His many books and contributions, which span the greater part of his life, indicate a capacity for hard work and high quality production. Those of us who have had the pleasure of knowing him are not amazed by the excellence of his work as by the diversity of the tasks which he has successfully undertaken.

This book is not the first nor will it be the last to be written about Dr. Izzel Din's poetic gift. It will join a host of similar endeavors by several authors who are fascinated by one or more aspects of the poet's life.

The book traces the poet's life from his early school days in Iraq to those in Alexandria, Egypt, where his poetic ability first proved its dimensions, to his stay in Britain and finally to the current days in Baghdad where the poet has mellowed. Major shifts in the poet's thinking were delineated and the incidents which had produced them were identified.

The author finds that love, nature, and life have had

YOUSIF IZZIDIEN THE POET

BY

KHIDIR AL - SALIHI

Introductory Note By

DR. ELIA ZUGHAIB

Baghdad -- 1963

YOUSIF IZZIDIEN THE POET

BY

KHIDIR AL - SALIHI

Introductory Note By

DR. ELIA ZUGHAIB

Baghdad -- 1963

مطبعة دار البصري ـ بغداد تلفون (٨٩٢٧٩)